المسلمون والغرب (٣)

١٢١

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

الوعي

العدد رقم (١٢١) السنة الحادية عشرة - صفر ١٤١٨هـ - حزيران ١٩٩٧م

عودة المحاور إلى منطقة الشرق الأوسط

قاعدة «الأمور بمقاصدها»

إسرائيل تخطط لضرب سوريا من تركيا

سياسة الاحتواء (٣)

لماذا يتأخر النصر عن المسلمين ؟

الوساد يتجسس على أجهزة الكمبيوتر العربية

AL-WAIE

الوعي

جامعية-فكرية-ثقافية

السنة الحادية عشرة-١٢١

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
برخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ص.ب ١٣٥٠٩٩
شوران - بيروت
لبنان

ثمن النسخة

لبنان : ٧٥٠ ل.ل.
ألمانيا : ٣ مارك
أميركا : ٢,٥٠ دولار أميركي
كندا : ٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا : ٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا : ١ جنيه إسترليني
السويد : ١٥ كورون سويدي
الدانمرك : ١٥ كورون دانمركي
بلجيكا : ٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا : ٢ فرنك سويسري
النمسا : ٢٠ شلن
باكستان : دولار أميركي
تركيا : دولار أميركي
اليمن : ٢٥ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (١٢١)

ص

- كلمة الوعي: إسرائيل تخطط لضرب سوريا من تركيا ٣
- عودة المحاور إلى منطقة الشرق الأوسط ٥
- سياسة الاحتواء (٣) ٩
- لماذا يتأخر النصر عن المسلمين؟ ١١
- مع القرآن الكريم: العلم والظن ١٧
- أخبار المسلمين ١٨
- الموساد يتجسس على أجهزة الكمبيوتر العربية ... ٢١
- يوسف بن تاشفين أحد زعماء المسلمين ٢٢
- هجر المسلم أخاه ٢٥
- قاعدة «الأمور بمقاصدها» ٢٧
- المسلمون والغرب (٣) ٣١
- دمج الحاليات ومحاولة تذويبها ٣٣
- عقدة الخليج بعد عقدة فيتنام ٣٥

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
Orientalischer Buchhandel:
Maelzere str. 48,
D - 33098 Paderborn
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

بريطانيا
AL - -WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

كندا : Canada
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44515
Scarborough, ONT. M1K 2PO

بلجيكا Belgique
A.B.DEL.
B.P. No. 80 - 1070 Bxl

اليمن
السيد محمد عامر
ص.ب ١١٦١٠
صنعاء - اليمن

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

أميركا U.S.A
AL - WAIE
P.O.Box 37932
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

إسرائيل تخطط لضرب سوريا من تركيا

منذ أوائل شهر أيار (مايو) ١٩٩٧ عادت إسرائيل إلى نغمة تهديد سوريا بالحرب. هذه النغمة كانت إسرائيل قد أطلقتها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٦. فقد كان موردخاي وزير الدفاع الإسرائيلي صرّح في ٩٦/١١/١٧ بأن تطوير سوريا غاز الأعصاب (في. إكس) يعتبر «تطوراً خطيراً جداً»، وحذر سوريا من أنها يمكن أن تتوقع «هجوماً إسرائيلياً يمكن أن يدمر النظام هناك».

وقد خفتت نغمة التهديد قوة لتعود من جديد، ففي ٢٩ نيسان (ابريل) ٩٧ قالت صحيفة «هآرتس» بأن سوريا أنتجت نوعاً جديداً من الغازات السامة لتجهز بها رؤوس مئات الصواريخ أرض ـ أرض التي تمتلكها. وفي اليوم نفسه نشرت إذاعة إسرائيل مقابلة مع الخبير العسكري زئيف شيف ذكر أن سوريا تمتلك الغاز (في. إكس) الذي لا تنفع معه الأقنعة الواقية الموجودة في إسرائيل. وفي أوائل أيار (مايو) ٩٧ أفادت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أنه في ظل جمود المفاوضات والأنباء عن تسلح الجيش السوري فتحت وزارة الخارجية الإسرائيلية ملفاً بعنوان «ملف الحرب». وفي ٩٧/٠٥/٠٢ قال نتانياهو لإذاعة إسرائيل: «نحن مستعدون لمواجهة اندلاع حرب جديدة» وفي اليوم نفسه ناقش مجلس الوزراء الإسرائيلي تصنيع الأقنعة الواقية وتوزيعها على الشعب. وفي اليوم نفسه أيضاً طالب رئيس الأركان الإسرائيلي شاحاك بزيادة ميزانية الجيش لمواجهة احتمال اندلاع الحرب، وأن يكون الاستعداد للحرب أكثر واقعية. وقد حولت إسرائيل إلى وزارة الدفاع مبلغ ٣٣٠ مليون دولار من مشروعات أخرى. علماً أن شاحاك كان طلب في ٩٦/١٠/٢٧ زيادة مبلغ ١,١ بليون دولار لميزانية الدفاع للعام ١٩٩٧.

وفي ٩٧/٠٥/٠٣ قال وزير الدفاع التركي تورهان تايان، عقب زيارته لإسرائيل: «إن سوريا هي المقر العام للإرهاب الذي يمارس ضد تركيا وضد إسرائيل في وقت واحد، وإيران تساند هذا الإرهاب». وقام تورهان بجولة في مرتفعات الجولان. وقد نقلت جريدة «الحياة» في ٩٧/٠٦/٠٤ أن اتفاقية التعاون الموقعة بين تركيا وإسرائيل تنص في البند (١ـ أحكام عامة) أن «يشترك أفراد التبادل في المعارك التي تحدث بين الدول المضيفة ودولة ثالثة، وأن يسمح باشتراكهم في عمل (...) إذا كانوا في الدولة المضيفة» وهذا البند أتاح لإسرائيل إمكانية المشاركة في أية عمليات عسكرية ضد طرف ثالث، والمقصود هو سوريا تحديداً، تحت ستار مكافحة الإرهاب وضرب قواعد حزب العمال الكردستاني، أو أية أهداف أخرى تختارها إسرائيل. وكانت إسرائيل أبلغت وزير الدفاع التركي خلال زيارته لها في ٩٧/٠٥/٠٣ «أنها ستعتبر أي هجوم بالصواريخ على تركيا هجوماً عليها». وقال وزير الدفاع التركي بأنه قلق من «جهود سوريا وإيران لتطوير قدراتهما في مجال الحرب الكيماوية والصواريخ البالستية» وقال هذا «يشكل مصدر قلق ليس لنا فقط بل وأيضاً لحلف شمال الأطلسي»

في ٩٧/٠٥/١٣ قامت تركيا بإدخال حوالي ثلاثين ألف جندي إلى شمال العراق وقالت بأنها لن تخرج قبل تحقيق غرضها من الدخول وهو القضاء على مسلحي حزب العمال الكردستاني، وقالت بأن وجودها

شرعي لأن حاكم المنطقة، البرزاني، هو الذي دعاها. بعض المراقبين يقولون بأن الدخول التركي هذه المرة هو بتوجيه من إسرائيل كي تقطع الطريق على نقل السلاح من إيران، عبر هذه المنطقة ثم عبر سوريا إلى «حزب الله»، و «حزب العمال الكردستاني» في لبنان. والأرجح أن الأمر أكبر من مجرد منع نقل السلاح لأنه إذا كانت سوريا ستسمح بنقل السلاح فإنها تستطيع هي أن تعطي السلاح إذا لم يمكن إحضاره من إيران. الأرجح أن تركيا تريد أن تسيطر على هذا الموقع لتستخدمه ضد سوريا وضد إيران إذا لزم الأمر. ولذلك فإن سوريا قلقة جداً من هذا الدخول التركي. العراق لا يبدو عليه الانزعاج الحقيقي من الدخول التركي. بل الأرجح أن هناك تفاهماً تركياً عراقياً على هذا الدخول. وسوريا تحاول كسب العراق لجانبها عن طريق فتح الحدود ورفع الحظر واستئناف التجارة.

بالتأكيد أميركا ضد هذا الدخول التركي إلى شمال العراق، وهي تضغط على تركيا لتنسحب بسرعة. وكانت صحيفة «الواشنطن بوست» ذكرت أن أميركا ضد هذا الدخول التركي. وحين أعلنت تركيا وإسرائيل عن إجراء تمرينات عسكرية بحرية هذا الصيف مقابل الشواطئ السورية أعلنت أميركا عن رغبتها مشاركتهما. وهذا يعني أنها تريد لجمهما عن أي عمل ضد سوريا.

في ٩٧/٠٥/٢٩ عملت جريدة «النهار» البيروتية مقابلة مع عبد الله أوجلان رئيس حزب العمال الكردستاني. وفي ٩٧/٠٦/٠٢ قام مسؤول في حزب أوجلان بعقد مؤتمر صحفي في ضاحية بيروت الجنوبية أعلن فيه أن فترة السلام والحوار مع أنقرة قد انتهت، وأن حزبه سيضرب أهدافاً إسرائيلية وأميركية في تركيا وخصوصاً في إستانبول، وأنه سيضرب المرافق السياحية التركية.

وفي ٩٧/٠٦/٠٦ اعترف الجيش التركي بسقوط طائرتي هيليكوبتر بصواريخ (سام - ٧) في شمال العراق، ووجه الاتهام أولاً إلى سوريا أنها هي التي تزود جماعة أوجلان بهذا السلاح، واتهم بعد سوريا كلاً من إيران واليونان وقبرص وأرمينيا وصربيا.

عبد الحليم خدام حذّر من الخطأ في الحسابات. ونحن نفهم أن هذا التحذير موجه إلى إسرائيل. ولكن قد تركب إسرائيل رأسها، بناءً على حساباتها، وتقوم بما تخطط له من ضرب سوريا.

يبدو أن إسرائيل أقنعت تركيا (جنرالات الجيش) أنها لن ترتاح من ثورة حزب أوجلان، ولن تأمن الخطر الداهم من (الأصولية الإسلامية) إلا إذا ضُربَتْ سوريا ضربة توخرها سنوات عدة، وتضع حداً لتدخلات إيران. ويبدو أن تركيا سائرة في هذا المخطط. ويبدو أن هذا المخطط ليس إسرائيلياً - تركياً فقط، بدليل أن العراق غير منزعج. ونحن نرجّح أن الإنجليز يؤيدونه، وليس موقف الأردن بعيداً عن موقف العراق فيه. فهو مخطط دولي وليس إقليمياً فقط. مصر والسعودية تؤيدان سوريا وإيران، وأميركا هي مع هذا المحور.

قبل حوالي ستة أشهر كان عند إسرائيل خطة لضرب سوريا، ولكنها ارتدعت أمام الضغط الأميركي وخوفاً من السلاح المتطور الذي تملكه سوريا.

الآن نتانياهو يخطط أن يقوم طيارون إسرائيليون بطائرات تركية من الأراضي التركية وباسم الجيش التركي بضرب مواقع وأهداف داخل سوريا بحجة تصفية قواعد «حزب العمال الكردستاني» وهو يرى أن سوريا لن يكون بيدها مبرر لتوجيه سلاحها الكيميائي المتطور إلى إسرائيل لما

عودة المحاور إلى المنطقة

عندما وضعت الصهيونية تصوراتها وخططها لإقامة كيان لليهود في فلسطين ضمّنت تلك التصورات والخطط شروط العيش الآمن الذي يضمن العيش والبقاء الدائم في المنطقة، ولما أقيمت إسرائيل كمشروع دولة، جرى التفكير دولياً في طبيعتها وطبيعة عيشها وعلاقاتها بالمنطقة. فأخذت أمريكا على عاتقها أن تحافظ على أمن تلك الدولة وعلى بقائها وعندما صار لأمريكا نفوذ في المنطقة، رأت أن تحجم إسرائيل حتى لا تشاركها في النفوذ، لذلك أصبح تحجيم إسرائيل، والحفاظ على أمنها، من المصالح الحيوية لأمريكا في المنطقة، فأخذت تزودها بأحدث الأسلحة وأكثرها فتكاً. وقد خططت الدولة الإسرائيلية أن يكون بقاؤها بقوتها الذاتية: العسكرية والاقتصادية والسياسية، فبتفوقها في هذه المجالات توجد لنفسها الظروف المواتية لبقائها.

أما بريطانيا، فرأت أن تكون إسرائيل شريكاً لها، فاعلاً في المنطقة، ومن مستلزمات هذا الدور أن تندمج إسرائيل في المنطقة، ولا تظهر كجسم غريب فيها، من أجل هذا رأت بريطانيا إيجاد غطاء لإسرائيل يمكنها من ممارسة دورها هذا طبيعياً كدولة من دول المنطقة، وكانت ترى بريطانيا إيجاد الغطاء بأن تقام في فلسطين دولة مشتركة ديمقراطية وعلمانية على شاكلة لبنان، وأن تنضم هذه الدولة بعد اتحادها كونفدرالياً مع الأردن إلى الجامعة العربية، فتصبح بذلك جزءاً من المنطقة، وبعد أن أخذ التوجه محلياً وإقليمياً ودولياً يدفع باتجاه إيجاد دولة فلسطينية إلى جانب الدولة اليهودية في فلسطين، وضعت بريطانيا فكرة الدولة الديمقراطية على الرف. وعدلت من شكل الغطاء، وأخذت ترى أن تصبح إسرائيل دولة في منظومة أوسع، تشمل دول ما يسمى بالشرق الأوسط، أي منظمة شرق أوسطية، فالمنظمة الشرق أوسطية تحقق أمرين: أولهما: تسويق إسرائيل عربياً وإسلامياً، وثانيهما، جعل العلاقات بين دول المنطقة تقوم على أساس قطري، فيكون التأثير الأكبر للدولة الأقوى.

خرجت الدعوة إلى منظمة شرق أوسطية إلى العلن، مع اتفاقات الصلح بين إسرائيل وكل من الفلسطينيين والأردنيين عامي ٩٣، ٩٤، وقد جعل شمعون بيريز من نفسه الداعية لهذه الفكرة والمسوق لها، عندما أخذ يدعو لشرق أوسط جديد، وقد عبر بيريز عن حقيقة ما يدور في ذهنه من غايات، عندما قال بصلف وتحد أثناء انعقاد المؤتمر الاقتصادي في الدار البيضاء سنة ٩٤: إن العرب جرّبوا قيادة مصر لأربعة عقود فجلبت لهم الدمار والكوارث، وإن عليهم الآن أن يجربوا قيادة إسرائيل. وقد ردّ الساسة ووسائل الإعلام في مصر وسوريا بعنف على الدعوة للشرق أوسطية، وكذلك فعل الأمين العام للجامعة العربية، عصمت عبد المجيد، إذ رأوا في هذه الدعوة هدماً للجامعة العربية، ولدورها، ولدور الدول العربية المتنفذة منها.

وفي ظل هذه المقدمات التنظيرية والإعلامية، ولدت الاتفاقات العسكرية والاقتصادية بين تركيا وإسرائيل. لقد فاجأت الدولتان دول المنطقة بالإعلان في شباط ٩٦ عن اتفاق عسكري، ومع أن الدولتين قالتا إن الاتفاق يقضي بفتح أجواء كل من الدولتين لطيران الدولة الأخرى بقصد التدريب والمناورات، ولتبادل المعلومات العسكرية، وتحديث الطائرات التركية، فقد أبقتا على بنود الاتفاق طي الكتمان، ثم ما لبثت الدولتان أن تقدمتا خطوة أخرى باتجاه اتفاق استراتيجي، عندما أعلنتا في شهر أيار عن اتفاق بحري، يقضي بإجراء مناورات مشتركة.

أوجدت هذه الاتفاقات تشنجاً في مصر وسوريا وإيران. لقد رأت هذه الدول في هذه

الاتفاقات حلفاً أو مقدمة لحلف يهدد أمنها، ويجعل للدولتين اليد الطولى والدور الأول في المنطقة، وبعد مناوشات إعلامية، قام الرئيس حسني مبارك، في حزيران ٩٦ بزيارة تركيا، لاستجلاء حقيقة الأمر، بذل الرئيس ديميريل وسعه لطمأنة مبارك أن التعاون الثنائي ليس حلفاً، وليس موجهاً لطرف ثالث، لكنه لم يطلعه على الاتفاقات.

ومنذ مطلع العام الجاري، تسارعت وتيرة اللقاءات، والزيارات المتبادلة، بين مسؤولين أتراك وإسرائيليين، وكثرت التصريحات التي تلقي مزيداً من الضوء على فحوى الاتفاقات وأهميتها، ففي شباط الماضي، قام رئيس الأركان التركي، بزيارة إسرائيل، وفي مطلع نيسان قام وزير الخارجية الإسرائيلي ديفيد ليفي بزيارة أنقرة، وفي نهاية نيسان، قام وزير الدفاع التركي بزيارة إسرائيل، وقال للإذاعة الإسرائيلية: «إن تركيا لن تتراجع عن الاتفاق العسكري مع إسرائيل الذي يتيح للطائرات المقاتلة الإسرائيلية التحليق فوق تركيا في إطار تدريبات جوية» وقال: «إن الطلعات التدريبية الإسرائيلية في المجال الجوي التركي ستستمر». وشدد الوزير التركي في تصريح صحفي قبيل محادثاته مع وزير الدفاع الإسرائيلي على أن التعاون بين تركيا وإسرائيل «ليس موجهاً ضد أحد» وأضاف «تركيا تولي أهمية كبيرة لتعاونها مع إسرائيل، وأعتقد أن التعاون بيننا سيساهم في استقرار المنطقة، ودفع مسيرة السلام». أما مردخاي وزير الدفاع الإسرائيلي فوعد بمساعدة تركيا في مكافحتها الإرهاب، وقال في خطاب ترحيبه بالوزير التركي: إن بلاده «ستبذل كل ما في وسعها لتعزيز الأمن والروابط الاقتصادية مع تركيا». وأضاف «بلداننا حرّان، وديمقراطيان، وساندان السلام، إن التعاون بيننا ضروري لتحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط» واعتبر مردخاي أن «التعاون العسكري بين إسرائيل وتركيا يمكن أن يكون قوة ردع لمواجهة أي هجوم قد تفكر في شنه دولة مثل إيران والعراق وسوريا». وأضاف «من المهم للدولتين الديمقراطيتين إسرائيل وتركيا توحيد جهودهما لمصلحة الاستقرار فيهما» وقد أكد نتنياهو ما جاء على لسان مسؤولي الطرفين، عندما اعتبر أن «التعاون العسكري بين إسرائيل وتركيا يجب أن يتعزز من أجل مواجهة التهديد الإرهابي وضمان الاستقرار في المنطقة كلها».

وفي اليوم التالي لعودة وزير الدفاع التركي من إسرائيل أعرب عن قلق بلاده من جهود سوريا وإيران لتطوير قدراتهما في مجال الحرب الكيميائية والصواريخ البالستية، وقال في لهجة تهديد واضحة: «إن امتلاك مثل هذه الدول لأسلحة دمار شامل يشكل مصدر قلق ليس لنا فقط، أي تركيا وإسرائيل، بل أيضاً لحلف الأطلسي». ونقلت عنه الصحف التركية قوله «إن سوريا هي المقر العام للإرهاب الذي يمارس ضد تركيا وإسرائيل في وقت واحد، وإن إيران تساند هذا الإرهاب».

وفي ٥ أيار قام مساعد رئيس الأركان التركي الجنرال شفيق بير، الذي يوصف بالرجل القوي في المؤسسة العسكرية بزيارة إسرائيل على رأس وفد يضم ٢٦ ضابطاً كبيراً ومسؤولاً مدنياً، وقد ردد في زيارته ما كان قاله وزير الدفاع التركي من أن الهدف من تعاون بلاده مع إسرائيل هو وقف الإرهاب المتمثل في الإسلاميين في لبنان والانفصاليين في تركيا، وقال: «إن من واجب جميع الدول التعاون ضد الإرهاب» وقال: «بحثت عروضاً لتحديث الطائرات وإنتاج مشترك لدبابات ميدانية».

ردد الطرفان في تصريحاتهما تعابير ذات دلالة مثل: تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة، وردع العدوان، والحيلولة دون إقدام سوريا على ضرب إسرائيل، ومحاربة الإرهاب، وأما دفع مسيرة السلام فإنه يعني الضغط على سوريا بعد تطويقها لتليين موقفها، ودفعها باتجاه تقديم

تنازلات لإسرائيل، ويدل كل ذلك على أن ما بين الدولتين يسير باتجاه حلف عسكري مشترك، إن لم تكونا قد توصلتا لذلك بعد.

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض المواقف الإقليمية والدولية، لقد نددت مصر وسوريا وإيران بالمحور التركي الإسرائيلي. قال وزير خارجية مصر عمرو موسى: «إن المحور التركي الإسرائيلي لمصلحة طرف على حساب طرف، وكل فعل من هذا النوع سيكون له رد فعل مواز ومساوٍ له في القوة».

أما الأردن فله موقف مختلف، لقد زار الملك حسين في أيار ٩٦ أنقرة، مصطحباً معه رئيس الأركان، وقال لدى عودته:«إن العلاقات الأردنية التركية أقوى من التحالفات ومن المحاور، وعلاقات الأردن وتركيا قديمة، مبنية على أسس سليمة، وإن شاء الله تتعمق في سائر المجالات والميادين». وفي ٢١ تشرين ثاني ٩٦ أعلن وزير الدفاع التركي في مؤتمر صحفي، «أن الأردن وتركيا سيوقعان قريباً اتفاق تعاون دفاعي» وبين أن «مفاوضات في شأن هذه الاتفاقات تجري الآن، وعند اكتمالها سيكون هناك تعاون مفيد للجانبين». وبعد ذلك بأيام أكدت صحيفة الرأي الأردنية شبه الرسمية النبأ. وهذا يعني أن الأردن في طريقه للانضمام إلى المحور، إلا أنه من الصعب على الأردن أن ينضم إلى المحور في هذه الظروف، ما دام ما يسمى بعملية السلام متعثرة.

أما أمريكا فقد نفت أن يكون لها ضلع في الاتفاقات التركية الإسرائيلية، فقد نفى في٧ أيار الحالي المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية أن يكون ضباط أمريكيون قد شاركوا في المحادثات الاستراتيجية بين إسرائيل وتركيا، وقال «إن هذه المحادثات ليست ثلاثية، ولا ضلع للولايات المتحدة فيها» وأضاف «إن ضباطاً أمريكيين على مستوى متوسط موجودون في إسرائيل، وهم يشتركون في المحادثات مع إسرائيل وتركيا حول مناورات مشتركة في المستقبل، وأنه لا علاقة لذلك بالمحادثات الاستراتيجية بين الأتراك والإسرائيليين»، كما نفى مساعد رئيس الأركان التركي لدى زيارته إسرائيل مشاركة أمريكيين في المفاوضات.

وميشوب العلاقات الأمريكية ـ التركية توتر لأسباب كثيرة: منها امتناع أمريكا عن تسليم تركيا أسلحة كانت اشترتها من أمريكا، منها ثلاث فرقاطات لتقوية الأسطول التركي في بحر إيجه، وعشر طائرات هليوكبتر من طراز سوبركوبرا، تريد تركيا استعمالها ضد الثوار الأتراك الأكراد، وقد طلب وزير الدفاع التركي من إسرائيل التوسط لدى أمريكا للإفراج عن صفقات الأسلحة.

وموقف أمريكا من المحادثات الثنائية، وتصريح الناطق الأمريكي تنسجم مع موقف أمريكا حيال إسرائيل، والذي يرى تحجيمها وعزلها عن المنطقة.

لم تدل بريطانيا برأيها بشكل مباشر، لكن وزير خارجية بريطانيا كشف عن سياسة بريطانيا وتوجهاتها في ٤ من تشرين الثاني ١٩٩٦ عندما دعا أثناء جولته في المنطقة إلى إنشاء منظمة تعاون شرق أوسطية، شبيهة بمنظمة الأمن والتعاون الأوروبية، وبين أنه استمزج رأي دول في المنطقة، وأن الفكرة تلاقي استحساناً عند معظمها، وقد رفض عمرو موسى الفكرة فوراً، وقبل أن يطلع على النص الرسمي للتصريح، أما عصمت عبد المجيد فقد استدعى السفير البريطاني في القاهرة، وأعرب له عن دهشته من الاقتراح، وأضاف: «لا نستطيع أن نتخيل تعاوناً إقليمياً في الشرق الأوسط فيما تستمر إسرائيل في احتلال أراض عربية، وإيران في احتلال جزر لدولة الإمارات العربية المتحدة في الخليج». وإذا كان ريفكند ذكر أن الدعوة إلى منظمة شرق أوسطية خرجت من المنطقة، فإنه ولابد يدرك أن تعدد الولاءات في المنطقة يحول دون إيجاد هذه المنظمة، وأن أكثر ما يمكن أن تنتجه هو إيجاد محاور، وهذا هو ما يجري فعلاً، كما

قال وزير خارجية مصر عمرو موسى أن المحور التركي الإسرائيلي سيكون له رد فعل مواز ومساو له في القوة، وأساس المحور الموازي موجود ويتشكل من مصر وسوريا والسعودية، ولما كان هذا المحور لا يكفي للوقوف في وجه المحور التركي الإسرائيلي، كان لا بد من تقويته بضم دول أخرى إليه، وإيران هي الدولة المرشحة للانضمام، لأن المحور التركي الإسرائيلي يهددها مباشرة، وتقيم سوريا المتضرر الأول من الحلف التركي الإسرائيلي صداقة حميمة مع إيران، وأخذت تستعمل هذه الصداقة في إذابة الثلج من العلاقات الإيرانية المصرية، وجراء الوساطة السورية، قام وزير خارجية إيران، علي أكبر ولايتي بزيارة مصر تحت غطاء تسليم الرئيس مبارك دعوة لحضور القمة الإسلامية التي ستعقد في كانون أول القادم، وقد استقبله الرئيس المصري لمدة ساعتين بحثا خلالها مختلف القضايا الثنائية والإقليمية، وبيّن ولايتي وموسى في مؤتمرهما الصحفي أن إعادة العلاقات بين البلدين ليس مستبعداً، وقال ولايتي في المؤتمر الصحفي: أنه «عندما تزيد الاتصالات بين البلدين سيكون من السهل إيجاد مناخ إيجابي لعودتها». وهذا ما أشعر به عمرو موسى بقوله: «لا بد أن تكون هناك رغبة مشتركة» «لإعادة العلاقات» وأن «أي خطوات ستتخذ في هذا الاتجاه هو قرار ستتخذه في الوقت الذي نحدده».

والقضايا التي أدت إلى تجميد العلاقات بين البلدين ليست شائكة، فإيران لا تعارض العملية السلمية معارضة حقيقية، وإنما من قبيل المزايدة في المواقف، وتوتر العلاقات الحالي بين مصر وإسرائيل يمكن أن تتخذه إيران ذريعة لتسويغ تقاربها مع مصر، ويشكل إظهار الرغبة المشتركة في القيام بعمل مشترك لإنقاذ القدس مسوغاً أقوى، قال ولايتي في المؤتمر الصحفي: إن «على الدول الإسلامية العمل لحل هذه القضية». وبين أن «وجهات نظر مصر وإيران متطابقة» أما عن الإرهاب الذي تدعي مصر أن إيران ترعاه ضد مصر، فإن إيران لا تعمل ضد مصر. ولا تعمل على تصدير الثورة الإيرانية إلى مصر، ويدرك حكام مصر حقيقة الموقف الإيراني، وأياً كان الأمر، فإن حكام مصر سيكتفون بإعلان حكام إيران أنهم لا يعملون ضد مصر، أو أنهم لن يفعلوا ذلك.

ويشكل الصراع على الأدوار في الخليج الخلاف الجوهري بين الدولتين. ولما كانت مصر تتصرف كالدولة الأم، أو الأخ الأكبر للبلاد العربية، فإنها تجد نفسها في مواجهة إيران التي تسعى للهيمنة على منطقة الخليج، من أجل هذا بذلت مصر ولا تزال تبذل جهوداً لتفعيل إعلان دمشق، لكن الاختلاف في المصالح بين الدولتين في منطقة الخليج لا يمنع إعادة العلاقات بينهما، والتنسيق في أمور أخرى، وقد بيّن عمرو موسى في المؤتمر الصحفي أنه ليس من حق دول الخليج أن تغضب في حال إعادة العلاقات المصرية الإيرانية لأن «كل دول الخليج تقيم علاقات دبلوماسية مع إيران».

وقد وجه عمرو موسى في المؤتمر الصحفي مع ولايتي رسالة إلى تركيا وإسرائيل عندما قال «إن المناورات المزمع إجراؤها بين تركيا وإسرائيل تثير القلق» وإنها «إذا كانت تعطي رسالة من هذا النوع للعرب أو غيرهم تكون مصدراً للقلق» وبيّن أنه «إذا حصل هذا فسيكون له ردّ فعل وسنبحث في الأمر، وسيكون هناك تشاور في أسباب هذا ولياته».

إن قول عمرو موسى «كل فعل من هذا النوع سيكون له رد فعل مواز ومساو له في القوة» فهو إن لم ينبئ بتحركات مصر حالياً ينبئ بتحركاتها المستقبلية نحو إيجاد حلف مواز ومساو للحلف التركي الإسرائيلي بضم إيران إلى المحور المصري ـ السوري ـ السعودي.

١٧ محرم ١٤١٨

٢٤ أيار ١٩٩٧

سياسة الاحتواء
(٣)
الأخطار التي تعالج بسياسة الاحتواء

بقلم: سعيد عبد الرحيم

إن الأخطار المحدقة بالمصالح والأهداف تقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ـ الخطر المبدئي: وهو الخطر الذي يمس مصلحة أو غاية مبدئية، كخطر الإسلام السياسي المتوقع على الرأسمالية حال قيام الخلافة الراشدة، وخطر محاولات الغرب في احتواء فكرة الإسلام والخلافة على الأمة الإسلامية ودينها، وخطر الشيوعية على الرأسمالية ومصالحها وأهدافها من ناحية دولية إبان الحرب الباردة القديمة، والتي انتهت بلا عودة في عام ١٩٦١، وبالتالي انتهى هذا الخطر على الحلبة الدولية بلا رجعة، منذ أن تخلى الاتحاد السوفياتي عن الغاية الشيوعية وطريقة نشرها، ووافق على التعايش السلمي مع الرأسمالية بحسب مفهومها للتعايش على الملعب الدولي، أي: تخلى الاتحاد السوفياتي عن الصراع الدولي على أسس مبدئية، ووافق على الصراع والوفاق الدولي بينه وبين أمريكا على أسس استراتيجية وتكتيكية.

والأخطار التي تهدد المصالح والغايات المبدئية تعالج من وجهة نظر الإسلام حسب السياسات المبدئية، ولا تعالج بسياسة الاحتواء، كمعالجة خطر المرتدين بالقتال وفق الحكم الشرعي في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٢ـ الخطر الاستراتيجي: وهو الخطر الذي يمس مصلحة أو غاية حيوية، كخطر بعث العسكرية الألمانية على أساس حربي بعد الحرب العالمية الثانية، وحتى الآن على كل من أمريكا وفرنسا وروسيا، وخطر بعث العسكرية اليابانية على أساس حربي على مصالح وأهداف أمريكا في منطقة المحيط الهادي، وخطر احتلال العراق للكويت على المصالح الأمريكية الحيوية في الخليج، وخطر محو إسرائيل من الوجود على مصالح وأهداف أمريكا في الشرق الأوسط، وخطر القضاء على هيئة الأمم وقانونها ومؤسساتها على مصالح وأهداف الدول الكبرى وخصوصاً أمريكا.

٣ـ الخطر التكتيكي: وهو الخطر الذي يمس مصلحة أو غاية هامة أو ثانوية، كخطر احتلال كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية في الخمسينيات على مصالح أمريكا فيها، وخطر تسلم حزب الليكود السلطة فيما يسمى بإسرائيل على مصالح أوروبا في الشرق الأوسط، وخطر تسلم حزب العمل السلطة فيما يسمى بإسرائيل على مصالح أمريكا في الشرق الأوسط، وخطر قيام الخلافة الراشدة في مصر أو السودان على مصالح أمريكا فيهما، وخطر قيام أمريكا بدعم الجيش الأيرلندي وتسخيره ليقوم بأعمال عسكرية داخل بريطانيا على المصالح والأهداف الإنجليزية فيها.

والأخطار الاستراتيجية والتكتيكية تعالج بسياسة الاحتواء بوصفها فرعاً من السياسات الأساسية والفرعية المتشابكة والتي تؤدي بمجموعها إلى درء الأخطار وإيجاد المصالح والأهداف بشتى أنواعها وصفاتها.

إن التلويح بوجود الأخطار التي تهدد المصالح والأهداف متنوع منه المفتعل والحقيقي.

١ـ الخطر المفتعل: هو الخطر المخالف للواقع في وجوده على الموقع المنوط به، وفي صفته.

كتلويح أمريكا بالخطر الشيوعي على الخليج في فترة الحرب الباردة الجديدة، وأمريكا افتعلت هذا الخطر لعدة أغراض منها أنها تريد سيطرة كاملة على الخليج، تؤدي إلى قلع النفوذ الإنجليزي منه، فتتحكم في بتروله إنتاجاً وتسويقاً وتسعيراً، ولما فشلت أمريكا بالتفرد فيه من خلال أفكار نيكسون، قامت أمريكا بربط الأمن في الخليج بأمنها، ومصالحها فيه بمصالحها مع ألمانيا وبريطانيا، ومنعت أي تقارب بينه وبين بعض الدول كاليابان وألمانيا لكون هذه الدول تفتقر إلى بترولـه، الذي يعتبر حاجة حيوية بالنسبة لها، فبوساطة تحكم أمريكا في بترول الخليج تتحكم بهذه الدول وبصناعاتها، ولما أجبرت أمريكا حكام الخليج على عقد اتفاقيات أمنية معها، قام بعض هؤلاء الحكام بتأثير من بريطانيا بعقد اتفاقيات أمنية معها ومع فرنسا لاحتواء خطر التفرد الأمريكي، فأثارت أمريكا المتاعب والمخاوف لحكام الخليج، وسكتت عن بقاء صدام حسين في السلطة لتجعل منه فزّاعة لحكام الخليج وجعلت زالف أكيوس يكرر التصريحات عن أن العراق ما زال يمتلك الأسلحة الخطِرة، بل إنه زاد من إنتاج هذه الأسلحة. وقامت بإنشاء قيادة مركزية مهمتها تطبيق فكرة كارتر، وبإنشاء قوات الانتشار السريع التي أوكلت لها مهمة تحقيق السياسة الأمريكية ومصالحها، وهي تتذرع بأية ذريعة، وتستغل كل وضع لتكثيف وجودها العسكري فيه، فتلويح أمريكا بالأخطار على أمن الخليج، هو تلويح مفتعل يراد منه التفرد التام في السيطرة عليه، وكتلويح أمريكا بالخطر الشيوعي على دول العالم الثالث إبان الحرب الباردة الجديدة سواء في أمريكا اللاتينية أم في الشرق الأوسط أم في القرن الإفريقي. وحقيقة الأمر أن أمريكا اللاتينية مزرعة لأمريكا أما بالنسبة للشرق الأوسط وإفريقيا فإن الصراع هو بين أمريكا وبعض دول أوروبا وهي بريطانيا وفرنسا، وأمريكا كانت تستغل إبراز الصراع الوهمي بينها وبين روسيا لقلع النفوذ الأوروبي أو لتعزيز نفوذها في هذه المناطق.

٢ـ الخطر الحقيقي: هو الخطر المطابق للواقع في وجوده على الموقع المنوط به، وفي صفته كالخطر الشيوعي المبدئي على الرأسمالية ومصالحها في المزرعة الدولية إبان الحرب الباردة القديمة، وهذه الحرب قد نشبت بين الرأسمالية والشيوعية في المجال الدولي قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، والتي انتهت من ناحية دولية في عام ٦١، حين انتهى الخطر الشيوعي في الحقل الدولي بموافقة الاتحاد السوفياتي على سياسة التعايش السلمي، والتخلي عن الشيوعية في المسرح الدولي، وهذه السياسة ما زالت قائمة حتى الآن.

والحرب الباردة هذه هي حرب سياسية مبدئية بين الرأسمالية والشيوعية في الساحة الدولية، وهي حرب حقيقية في وجودها وموقعها الدولي، وفي صفتها المبدئية. وأعمال هذه الحرب هي الأعمال الدولية المبدئية والاستراتيجية التي تخدم السياسة المبدئية الخارجية على المسرح الدولي، كقيام روسيا بمحاولة زحزحة أمريكا عن مركز الدولة الأولى، ورفضها العمل على حل المشاكل الدولية من خلال هيئة الأمم وقانونها، والعمل على حلها من خلال المؤتمرات خارج الهيئة ونظامها، أما الأعمال الثانوية كسماح روسيا للمجر مثلاً بإجراء انتخابات حرة فيها، فإن هذا العمل وأمثاله لا علاقة له بالحرب الباردة، ولا يدل على اعتدال روسيا أو تطرفها بشأن الحرب الباردة، لأن هذا العمل وأمثاله لا يتصل بالحرب الباردة البتة، وهي قد نشبت قبل هذه الأعمال، أي: نشبت لحظة بروز الشيوعية كقوة عظمى في الحقل الدولي، ولا علاقة لها بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه في مؤتمري يالطة وطهران، لأن شرق أوروبا لم يكن مصلحة مبدئية أو حيوية بالنسبة لروسيا ما دامت دول

(التتمة ص ١٦)

لماذا يتأخر النصر عن المسلمين؟

بقلم: أسامة أبو سراج - الشام

إن عوامل النصر التي يعددها كاتب هذا المقال في بحثه هي بمثابة شروط للنصر وليست أسباباً، ذلك أن حصول الشرط لا يلزم منه حصول المشروط، بينما حصول السبب يلزم منه حصول المسبَّب. فقوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ هو بمثابة الشرط وليس شرطاً بالمعنى الدقيق، إذ قد ينصر الله الكفار. إن الله وعد أن ينصر من ينصره ولكنه لم يحدد فترة زمنية لتحقيق نصره، ولم يحدد نوعية نصره. فهذا رسول الله نوح عليه السلام لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يستجيبوا له. ولا أحد يتهم نوحاً بأنه كان مقصّراً في تحقيق شروط النصر. وأما نوع النصر الذي حققه الله له بعد هذه المدة فكان بإهلاك قومه بالطوفان. إذاً لا يجوز لنا أن نتهم العاملين في الدعوة الإسلامية لمجرّد إبطاء النصر عنهم، بل نتهمهم إذا رأيناهم يخالفون شرع الله أو يقصرون في أداء ما أوجبه الله عليهم.
«الوعي»

إن الجماعات المسلمة تعمل جاهدة من أجل الخلاص من الواقع السيء الذي ترعرعت به الأمة الإسلامية. وهذه الجماعات فيها جماعات مخلصة لله، وكلها تعمل لكي ينصر الله الأمة الإسلامية النصر الأكبر وهو: أن تُرفع رايتنا وتقام خلافتنا ويحكم كتاب الله أمّتنا. ولكن هذا النصر لم يأت بعد، والجميع يسأل ويقول: لماذا تأخر نصر الله علينا؟ هل لعدم إخلاص هذه التكتلات؟ أو لعدم تقوى هذه التكتلات؟ أو لأن الله أخر النصر لابتلاء المسلمين؟

كل هذه الأسئلة تدور في ذهن الشباب المسلم الذي يعمل مع هذه التكتلات. لماذا تأخر نصر الله؟

ولكن قبل الخوض في هذا البحر يجب علينا أن نتنبه إلى أن للنصر عوامل وشروطاً إذا لم نطبقها فإن نصر الله لا يأتي إلينا، ونحن وإن حملنا الدعوة إلى الله وقصّرنا بمفهوم النصر وبشروطه فإن الله لا ينصرنا. لذلك فإن هذا الموضوع متشعب وحوله أسئلة كثيرة.

نقول وبالله التوفيق إن سنة الله في نصره للمؤمنين لا ولن تتخلف أبداً لأنها إخبار من عند الله الصادق الناصر المعين. والدليل على هذا الكلام هو:

أ- قول الله تعالى: ﴿ولقد كُذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مُبدل لكلمات الله...﴾ الأنعام - ٣٤.

وجاء في تفسير ابن كثير ﴿لا مبدل لكلمات الله﴾ أي التي كتبها في الدنيا والآخرة بالنصر لعباده المؤمنين.

ب- قول الله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين* إنهم لهم المنصورون* وإن جندنا لهم الغالبون﴾ الصافات: ١٧١-١٧٣.

وجاء في تفسير الزمخشري في تفسير هذه الآية، والمراد الوعد بعلوهم على عدوهم في ملاحم القتال في الدنيا وكذلك علوهم عليهم في الآخرة. تفسير الزمخشري ٦٧/٤.

جـ- قول الله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ المجادلة - ٢١ وجاء في تفسيرها: «أي قد حكم الله وكتب في كتابه الأول وقدَره الذي لا يُخالَف ولا يُمانع بأن النصر له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة». ابن كثير ٤-٢٢٩.

د- قول الله تعالى: ﴿إنا لننصر رُسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ غافر- ٥١. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه إنه

ينصر عباده المؤمنين في الدُنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم. وقال الإمام السدّي لم يبعث الله عز وجل رسولاً قط فيقتلونه أو قوماً من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلونهم فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك في الدنيا، ثم قال: فكانت الأنبياء والمؤمنون يُقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها». ابن كثير-٤/٨٣/٨٤. ومعنى ذلك أن الغلبة للمؤمنين وإن قوتلوا وعُذبوا.

هـ قول الله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ الروم - ٤٧.

معنى الآية أن فيها مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جُعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم، وإشعاراً بأن الانتقام لأجلهم، وظاهر الآية أن هذا النصر في الدنيا وأنه عام لجميع المؤمنين فيشمل مَن بعدَ الرسل من الأمة. تفسير الألوسي ٢١-٥٢.

والأدلة كثيرة جداً من الآيات والأحاديث على أن نصر الله لن يتخلف عن المؤمنين. ولن نوردها لكي لا نُطيل الموضوع.

وقبل أن ننتقل إلى عوامل النصر ومعوقاته لا بد لنا أن نبين أن نصر الله لعباده المؤمنين قد يتأخر لأن الله يريد لهم النصر الأكبر والأعظم والأكمل والأدوم والأكثر تأثيراً في واقع الحياة، وفي عموم الناس بعد أن يتهيأ في المؤمنين القاعدة اللازمة لاستحقاقهم هذا النصر الأكبر واستقبالهم له، ويدل على ذلك أن نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المؤمنون لم يحصل في يوم وليلة ولا في سنة واحدة وإنما تأخر فلم يحصل إلا بعد مضي أكثر نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، فقد حصل هذا النصر بالغلبة والانتصار على قريش وفتح مكة وذلك في سنة ثمان للهجرة، أي قبل وفاته عليه الصلاة والسلام بسنتين وقد دخل بسبب هذا النصر الناس في دين الله أفواجاً وأنزل قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح● ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا● فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ النصر.

وكذلك قد يسبق نصرَ الله أذى من العدو شديد على المسلمين وهذا، من الابتلاء لكي يثبتوا على الحق، ولكي يتوبوا على الصبر كما أرادهم الله لا يخافون في الله لومة لائم، لذلك قال الله تعالى مبيناً لنا حال من سبقونا: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القومَ قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين● وليُمَحِّصَ الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ آل عمران-١٤٠/١٤١. فقد بين لنا الله تعالى في هاتين الآيتين أن المؤمنين الذين يصيبهم قرح أي جراحات بسبب القتال يجب أن لا يضعفَ ذلك همتهم في جهاد العدو لأنه كما أصابهم قرح فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، وعدوهم لم يتألموا لما أصابهم من القرح من محاربتكم مع كونهم مبطلين، فأنتم أيها المؤمنون أهل الحق أولى أن لا تضعفوا ولا تفتروا عن مجاهدة ومحاربة هؤلاء القوم الأعداء المبطلين. الرازي ١٤/٩.

والآن لا بد لنا أن نسأل السؤال المهم: ما هي عوامل النصر وشروطه؟ إن من أهم عوامل النصر:

١- الإيمان الكامل الحقيقي: لأن الإيمان هو الشرط لنصرة الله للمؤمنين. قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ الروم - ٤٧. وهذه الآية نص صريح في ربط النصر بالإيمان وكذلك فهو عام لجميع المؤمنين في بقاع الأرض. وكذلك قوله تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين﴾ الأنفال-١٩.

أي من كان الله في نصره لم تغلبه فئة وإن كثرت. القرطبي ٧-٣٨٧.

ومن الواضح أن هذه (المعية الإلهية) للمؤمنين هي معية خاصة بهم ولهم بسبب إيمانهم، فهي تتناسب مع مقدار إيمانهم وعمقه، ومدى ذوبانهم وتأثرهم به. ولا شك أن الصحابة الكرام المخاطبين بهذه الآية بوصف (المؤمنين) وأن (الله معهم) كان لهم النصيب الأكبر من هذه المعية الخاصة بأهل الإيمان لما عُرفوا به من عمق الإيمان وسعته وذوبانهم وتأثرهم به، ولذلك تحقق لهم النصر على قلة عددهم وكثرة عدد أعدائهم في زمن النبي عليه وآله الصلاة والسلام وبعد وفاته.

٢- ومن عوامل النصر تقوى الله: لقوله تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين* بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ آل عمران ١٢٤-١٢٥. وجاء في تفسيرهما: والظاهر في المدد أن الملائكة يُشركون الجيش في القتال إن وقعت الحاجة إليهم، ويجوز أن لا تقع الحاجة إليهم في نفس القتال، وأن يكون مجرد حضورهم كافياً في تقوى القلب. وجعل مجيء خمسة آلاف من الملائكة مشروطاً بثلاثة أشياء: الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور. الرازي ٨/٢٢٨.

فمدد الملائكة للمؤمنين كان بسبب تقواهم، لأن صبرهم من جملة تقواهم لأن التقوى كما قال ابن تيمية يرحمه الله تعالى: «فعل كل أمر أمر به الله وترك ما نهى عنه». مجموع الفتاوى ٨/٥٢٦.

والصبر من جملة ما أمر الله به. ولتأكيد هذا الكلام نورد وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص وجنده في حرب العراق قائلاً: [فإني آمرك ومن معك من أجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عدونا ليس كعدوهم ولا عُدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة، وإلا نُنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم حفَظَةً من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شرٌّ منّا فلن يُسلّط علينا وإن أسأنا، فرب قوم قد سُلّط عليهم شرٌّ منهم، كما سلط على بني إسرائيل لمّا عملوا بمساخط الله، كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. واسألوا الله العون على أنفسكم فكما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم].

٣- ومن عوامل النصر نصرة الدين: لقوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ محمد - ٧. ومعنى الآية: إن تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم، في مواطن الحرب. الزمخشري ٤/٣١٨. وقال الرازي في تفسيره: وفي نصرة الله تعالى وجوه (الأول) أن تنصروا دين الله وطريقه. (الثاني) أن تنصروا حزب الله وفريقه. الرازي ٢٨/٤٨. ونصرة دين الله تتحقق بأن يسلم المسلم نفسه بالكلية لله رب العالمين، فلا يبقى فيه شيء خارج عن الاستسلام المطلق والانقياد التام لله رب العالمين. ويظهر هذا الخضوع والاستسلام بالاستسلام الكامل لشرع الله تعالى، وهذا في نفسه وما ينطوي عليه قلبه وتقوم به جوارحه، ثم تظهر النصرة لدين الله بعمل المسلم الدائم لإقامة شرع الله في الأرض بحيث يكون هذا الشرع هو المهيمن والحاكم لجميع العلاقات بين الناس فلا يتحاكمون إلا إليه ولا يقبلون إلا شرعه. وبهذا علينا أن نغار على الجماعات المسلمة بأن ننصحهم إذا مالوا

عن الحق وأن ننصرهم إذا ظُلموا، فهذا حق علينا إن استطعنا نصرهم باليد أو باللسان أو بالقلم، فلننصر المظلومين كي ينصرنا الله على الكافرين.

٤- من عوامل النصر ذكر الله: وهذه النقطة من العوامل التي ينصر الله بها أتباعه والتي قد تركها كثير من شباب الحركات الإسلامية. فقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ الأنفال - ٤٥. ومعنى الآية: أي إذا لقيتم فئة من الكفار أو البغاة فاثبتوا لهم ولا تفروا من أمامهم فإن الثبات قوة معنوية طالما كانت هي السبب الأخير للنصر والغلبة بين الأفراد والجيش ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أي وأكثروا من ذكر الله في أثناء القتال وقبله. أذكروه في قلوبكم بذكر قدرته ووعده بنصر رسله والمؤمنين، وبمعيته الخاصة للمؤمنين الصابرين، وبذكر نهيه تعالى لكم عن اليأس مهما اشتد البأس، وبأن النصر بيده تعالى ينصر من يشاء، وهو القوي العزيز. فمن ذكر هذا وتذكره لا تخوفه قوة عدوه واستعداده، لإيمانه بأن الله تعالى أقوى من عدوه. وفي الأمر بذكر الله تعالى كثيراً إشعار بأن على المسلم أن لا ينشغل عن ذكر الله بأي شاغل. تفسير الزمخشري ٢٢٦/٢ الألوسي ١٤/١٠ المنار ٢١/١٠.

وكذلك فقد روى الإمام أحمد والترمذي ومالك في الموطأ: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قيل بلى يا رسول الله قال: ذكر الله».

لذلك فإن النصر ليس بالشيء الهيّن، إنه محفوف بالمشاق والصعوبات التي يعجز عن احتمالها إلا من اصطفاهم الله لقيادة البشرية. فإن الله تعالى قال: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مَثَلُ الذين خلوْا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب﴾ هذا الخطاب كان للرسول عليه وآله الصلاة والسلام ولصحابته الكرام الذين أقاموا دولة الإسلام وحملوا رسالته رسالة عالمية إلى الناس كافة. وهكذا واجه حزب الرسول عليه وآله الصلاة والسلام المصاعب القاتلة وخاضوا تجربة عميقة جليلة. لذلك فإن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه [متى نصر الله] ليُعلمنا الله مدى شدة المحنة التي واجهت حَمَلَةَ الدعوة، ولا نقدر أن نصف هذه المحنة التي جعلت الصحابة والرسول ﷺ يقولون [متى نصر الله]، ولكن عندما ثبت الصحابة على إيمانهم وعلى عهدهم مع الله جاء الجواب من الله [ألا إن نصرَ الله قريب] فإن نصر الله لا يتنزل إلا على أناس استحقوا النصر. الذين يثبتون على السراء والضراء الذين يصمدون للزلزلة. الذين لا يحْنون رؤوسهم للعاصفة. الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله وعندما يشاء الله. وحتى حين تبلغ المحنةُ ذُروتها فهم يتطلعون إلى نصر الله فحسب لا إلى أي حل غيره، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله. ويجب علينا أن نتصور النصر أمام أعيننا لقوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين* إنهم لهم المنصورون* وإن جندنا لهم الغالبون﴾ لأن هذه حقيقة كل دعوة يُخلص فيها العاملون، ويتجرد لها الدعاة، ويصبح لديها قناعات بأنها منصورة مهما وُضعت في سبيلها العوائق وقامت في طريقها العراقيل، مهما رصد لها الأعداء من قوى الحديد والنار، وقوى الدعاية والافتراء، وقوى السجن والقتل. وما هي إلا معارك تختلف نتائجها ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده الله لرُسُله والذي لن يُخلَف، ولو قامت كل قوى الأرض لهزيمتنا فالوعد لنا بالغلبة والنصر والتمكين. وهذا الوعد سُنّة الله الكونية. سُنّة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان، وكما تنبثق

الحياة في الأرض الميتة حين ينزل عليها الماء، ولكنها مرهونة بتقدير الله يحققها حين يشاء وعلى من يشاء من الذين يستحقون النصر.

لذا فإن الله لم يُرد أن يكون حَمَلَةُ دعوته وحماتها من (التنابلة) الكسالى الذين يجلسون في استرخاء ثم يتنزل عليهم نصره سهلاً هيناً بلا عناء لمجرد أنهم يقيمون الصلاة ويرتلون القرآن ويتوجهون إلى الله بالدعاء كلما مسهم الأذى أو وقع عليهم الاعتداء. ولمجرّد أنهم يَدْعون شخصاً أو أكثر لتكثير عددهم. نعم إنه يجب عليهم أن يقيموا الصلاة وأن يرتلوا القرآن وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء في السراء والضراء ولكن هذه العبادة وحدها لا تؤهلهم لحمل دعوة الله وحمايتها، إنما هي الزاد الذي يتزودونه للمعركة والسلاح الذي يطمئنون إليه وهم يواجهون الباطل بمثل سلاحه، ويزيدون عنه سلاح التقوى والإيمان والاتصال بالله. ولقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا عن طريقهم هم أنفسهم كي يتم نضجهم في أثناء المعركة. لذلك يجب أن نضحي من أجل النصر، ولا نتصور أن النصر سيأتينا سريعاً لا يكلّف عناء، وإن أتانا هكذا فإن الذي يتنزل هيناً ليناً على القاعدين المسترخين كما يأتي سريعاً يذهب سريعاً لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات. لذلك فإن النصر قد يبطئ لأن الأمة غير مستعدة لهذا النصر، أو حتى تبذل الأمّة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً إلا وتبذله في سبيل الله رخيصاً هيناً. وقد يبطئ النصر حتى تدرك الأمة أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر. وقد يبطئ النصر لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير يريد الله أن يجرد الشر منها لتعي معنى العبودية الخالصة لله ولتحمل أمانة الإسلام التي كانوا يحاربونها بألسنتهم ودعوتهم إلى القومية والوطنية والعصبية النتنة.

٥ـ ونذكر عاملاً أخيراً من عوامل النصر وهو: إعداد القوة: وليكن معلوماً أن الإيمان وحده لا يُغني عن عوامل النصر المادية مثل: عُدة القتال وعدد المقاتلين وغيرها من وسائل القتال ومستلزماته. فلهذا أمرنا الله تعالى وقال: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم...﴾.

ولأن الإسلام لا يغفل عمّا في العوامل المادية من قوة وهو يقرر ما للإيمان من قوة ومن سببية للنصر. ولكن هذه القوة للإيمان أو هذه السببية فيه للنصر لها حد محدود بينه الله تعالى حتى لا نغالي في الأمور، وحتى نعطي لكل شيء حقه من التقييم والتقدير من دون مغالاة، حتى لا نقع في الوهم والخطأ في الحساب فنخسر المعركة. والدليل على هذا الكلام قول الله تعالى في سورة الأنفال ٦٥/٦٦: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون* الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾. ووجه الاستدلال بالآية الأولى أن الله أخبر المؤمنين أصحاب النبي عليه وآله الصلاة والسلام أن عشرين صابرين منهم يغلبوا مائتين من الكافرين، وهذا قبل التخفيف، ولم يقل الله عز وجل إن العشرين من المؤمنين الصابرين يغلبون ألفين، لأن المؤمنين الصابرين وإن كان لإيمانهم قوى وهي قوى من قوة الكفر في نفوس الكافرين إلا أن هذه القوة الإيمانية لها حد محدود في غلبة قوة الكفر والكافرين. لذلك يُفهم من هذه الآيات أنّ القوة المادية ـ ومنها عدد المقاتلين ـ لها وزنها وتأثيرها غير المنكور، وأن على المؤمنين والأمة عموماً والجماعة المسلمة ملاحظة ذلك وفتح عيونهم عليه وأخذ العبرة منه، وأن يحسبوا حساباً دقيقاً لقوتهم وقوة أعدائهم ويخوضوا المعركة.

ولتأكيد هذا القول نقول كما قال الله تعالى في سورة الأنفال ٤٤/٤٣: ﴿إذ يُريكَهُمُ الله في منامك قليلاً ولو أراكهُمْ كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور* وإذ يُريكُموهُم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور﴾.

ومعنى الآيتين أن الله تعالى أرى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في منامه عدد الكفار قليلاً قُبيل بدء القتال في معركة بدر، فأخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك أصحابه، فكان ذلك الإخبار تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم. وبين الله تعالى لنبيه ﷺ أنه [لو أراكهم كثيراً] أي لو أراك عدد الكفار كثيراً [لفشلتم] أي لأصاب المؤمنين وهن وجبن وهيبة من الإقدام والهجوم على الكفار [ولتنازعتم] أي ولحصل نزاع واختلاف بين المؤمنين وتفرق كلمتهم أيقاتلون أم لا. الزمخشري ٢/٢٢٤-٢٢٥.

لذلك نقول إن القوة والجهاد بالمال والنفس وإعدادهم من فرائض الإسلام، ولكن هذه الفرائض إن لم نقل غائبة فهي شبه غائبة ومنسية من قبل كثير من المسلمين إن لم نقل عامتهم، مع أن الجهاد هو طريق النصر ووسيلة العز وإظهار دين الله ومحق الباطل وأهله ونوال رضوان الله. وإن تركه يعني إذلال المسلمين وذهاب قوتهم وزوال دولتهم لذلك قال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ البقرة - ٢١٦ أي هو كره لكم في الطباع و (عسى) من الله تعالى إيجاب. والمعنى: وعسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون عدوكم وتظفرون به وتغنمون أمواله وتُؤجَرون وتثابون على جهادكم. [وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم] أي عسى أن تحبوا الراحة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تُغلبون وتُذلون وتذهب قوتكم. قال الإمام القرطبي: وهذا صحيح لا غبار عليه كما اتفق في بلاد المسلمين (الأندلس) تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الخراب، فاستولى العدو على كل البلاد وأسرَ وقتلَ وسبى واسترقّ. فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذلك بما قدمت أيديهم وكسبته. القرطبي ٣/٣٨-٣٩.

هذه شروط لإحراز نصر الله، وأضدادها معوقات. ونسأل الله أن يوفقنا لتحقيق هذه الشروط وأن يكرمنا بنصره العزيز المؤزّر إنه على ما يشاء قدير ❑

⇦ تتمة الصفحة ١٠

الغرب قد اتفقت معها في المصلحة الحيوية المتصلة بألمانيا، وهي تجريدها من القدرات الصناعية والعسكرية، وكذلك الأمر بالنسبة لإعلان ترومان عن فكرته في معالجة الخطر الشيوعي على المسرح الأوروبي بقيادة الولايات المتحدة، فهذا الإعلان لا علاقة له ببداية الحرب الباردة لأنها كانت قبله. أما مصطلح الحرب الباردة فهو قديم استخدم للمرة الأولى من قبل الأمير خوان مانويل الإسباني في القرن الرابع عشر، ولم يدخل كمصطلح جديد في القاموس إبان إعلان ترومان عن سياسته في احتواء الخطر الشيوعي على الصعيد الأوروبي.

أما مسألة إحجام روسيا عن تهديد مصلحة حيوية للغرب يؤدي حتماً إلى حرب فعلية بينهما كالاستيلاء على السلطة في فرنسا بالقوة من قبل الشيوعيين، فذلك لأن روسيا لا تريد حرباً ساخنة جديدة مع الغرب، وهي لم تعالج بعد آثار الحرب العالمية الثانية، والتعاون الذي حصل بين روسيا ودول الغرب أثناء الحرب كان تعاوناً مؤقتاً بسبب اتفاق المصالح بينهم على ألمانيا وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية ❑

العلم والظن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرةِ لَيُسَمّونَ الملائكةَ تَسْمِيَةَ الأُنثى ۝ وما لَهُمْ به من عِلْمٍ إنْ يَتّبعونَ إلا الظنّ وإنّ الظنّ لا يُغْني مِنَ الحقّ شيئاً﴾ [سورة النجم ٢٧ - ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فلا جُناحَ عليهما أن يتراجَعا إن ظنّا أن يُقيما حُدودَ الله﴾ [سورة البقرة ٢٣٠].

وقال تعالى: ﴿وما قَتَلوهُ وما صَلَبوهُ ولكنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإنّ الذين اختلفوا فيهِ لفي شكّ منه ما لَهُمْ به من عِلْمٍ إلاّ اتّباعَ الظنّ وما قَتَلوهُ يقيناً﴾ [سورة النساء ١٥٧].

وردت كلمة (العلم) في القرآن بمعنى القطع واليقين. وقد جاءت في مواضع قليلة جداً بمعنى غلبة الظن (الترجيح) مثل ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لكَ به عِلْم﴾ [الإسراء ٣٦]، ومثل ﴿فإنْ علمتموهنّ مؤمناتٍ فلا ترجعوهنّ إلى الكُفّار﴾ [الممتحنة ١٠]. ووردت كلمة (الظنّ) في القرآن بمعنى الوهم مثل ما ورد في الآية ٢٨ من سورة النجم، المذكورة أعلاه، ووردت بمعنى القطع واليقين مثل ﴿الذين يظنون أنّهم مُلاقو رَبِّهِمْ وأنهم إليه راجعون﴾ [البقرة ٤٦]، ووردت بمعنى الترجيح مثل ما ورد في الآية ٢٣٠ من سورة البقرة، المذكورة أعلاه.

فالظن الذي بمعنى الوهم لا يصلح دليلاً على العقائد ولا على الأحكام الشرعية، فالذين يقولون بأن الملائكة إناث ليس عندهم دليل ولا شبهة دليل، وليس عندهم إلا التوهُّم، ومع ذلك فإن الآية الكريمة سمّتْ هذا التوهّم ظناً. وهذا النوع من الظن مردود ولا يغني من الحق شيئاً لا في العقائد ولا في الأحكام.

أما الظن الذي بمعنى (ترجيح الرأي) فإنه يُعمل به في الأحكام الشرعية العملية (وليس في أصول العقائد) وذلك مثل قوله تعالى بشأن الرجل الذي يطلّق زوجته ثلاثاً ثم تتزوج غيره، فإن طلّقها الثاني فإنه يجوز أن يعود ويتزوجها الأول ﴿إن ظنّا أن يقيما حدود الله﴾ [البقرة ٢٣٠]. وغالبية الأحكام الشرعية مبنية إما على أحاديث الآحاد أو على آيات ظنية الدلالة.

أما لماذا لا يكفي الترجيح (غلبة الظن) في الاستدلال على العقائد الأساسية، مع أنه يكفي، كما رأينا، في الاستدلال على الأحكام الشرعية فإن الآية ١٥٧ من سورة النساء المذكورة أعلاه تبيّن ذلك بياناً واضحاً.

إن الذين ظنوا أن المسيح (عليه السلام) اعتُقِل وصُلِب وقُتِل عندهم دليل راجح على ظنهم هذا، وليس ظنهم مجرد وهم. ذلك أن المسيح كان في البيت مع تلاميذه. وطوقت الشرطة البيت. وألقى الله شَبَهَ المسيح على أحد تلاميذه. ورفع الله المسيح إليه بمعجزة لم تعلم الشرطة بها. وحين دخلوا البيت واعتقلوا من فيه ظنوا أنهم اعتقلوا المسيح. وأخذوا الشبيه وصلبوه حتى مات. وكان ذلك أمام الناس.

إذاً الذين قالوا بأنهم صلبوا المسيح وقتلوه كان معهم دليل حسيّ قوي جداً، ولكنه لم يكن يقينياً، بل داخَلَهُ شكٌّ من جهتين: الأولى أن الشَّبَهَ لم يكن كاملاً، فالوجه وجه المسيح ولكن الجسد هو غير جسده. والثانية أن العدد نقص واحداً، فقد كان في البيت ثلاثة عشر شخصاً، المسيح وتلاميذه الاثنا عشر، ولم يجدوا في البيت إلا اثني عشر رجلاً. وبسبب هذا الاختلاف في الجسد وهذا الاختلاف في العدد فقد وقع الشك، وهبطت المسألة من مرتبة اليقين الحسي إلى مرتبة الظن ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ هذا الظن رفضه الله كدليل على هذا الاعتقاد وإن كان هذا الدليل راجحاً. وأرشدنا الله سبحانه إلى أن المطلوب في مثل هذه الأمور ليس غلبة الظن فقط بل اليقين ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ □

نص معاهدة السلام بين روسيا والشيشان

المعاهدة التي تمّ التفاوض والتوقيع عليها بين روسيا والشيشان تشكل اعترافاً ضمنياً (وليس صريحاً) باستقلال الشيشان. وفيما يلي نص المعاهدة:

إن الطرفين المتعاقدين السامين، رغبةمنهما في إقامة علاقات وطيدة متكافئة ومتبادلة المنفعة، اتفقا على ما يلي:

١. التخلي إلى الأبد عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها عند حل أي قضايا تختلف عليها.

٢. إقامة علاقاتهما طبقاً لمبادئ وأحكام القانون الدولي المتعارف عليها، وفي هذا السياق يتعاون الطرفان في مجالات تعينها اتفاقيات محددة.

٣. المعاهدة أساس لعقد معاهدات واتفاقيات لاحقة تتعلق بمجمل قضايا العلاقات بين الجانبين.

٤. المعاهدة محررة في نسختين لكل منهما مفعول قانوني مكافئ للآخر.

٥. المعاهدة الحالية يسري مفعولها يوم توقيعها.

رئيس روسيا الاتحادية بوريس يلتسن
رئيس جمهورية أتشكيريا الشيشانية
أصلان مسخادوف ❑

آراء كاتب يهودي

نشرت جريدة «الحياة» في ٩٧/٠٦/٠٢ حواراً مع الكاتب الإسرائيلي إسرائيل شاهاك الذي ينتقد سياسة إسرائيل جاء فيه: اتفاق أوسلو هو «الانتصار الأعظم للدولة إسرائيل منذ ١٩٤٨» وسواء استمرّت عملية السلام أم توقفت فإن إسرائيل تعتبر أنها نجحت في التخلص من المشكلة الفلسطينية. ويقول عن ياسر عرفات: «لن يكون هناك تغيير ما دام في السلطة. إسرائيل استأجرت عرفات ومخابراته، وهو يقبل الوضع من دون أي تحفّظ».

وأضاف شاهاك: يوجد بين اليهود الأميركيين نسبة قوية ومتنامية تريد بناء «الهيكل الثالث» في موقع قبة الصخرة، وهو ما يقود إلى مواجهة مع العالم الإسلامي كله.

ويقول أيضاً: «إذا شعرت إسرائيل بتزايد الخطر فقد تعمد إلى ضربة استباقية، والهدف الأرجح لها سيكون سورية» ويضيف: إن المعلقين الإسرائيليين يرون أن الولايات المتحدة قد تسمح لإسرائيل بتفجير الحرب. «هذا حصل بالفعل سابقاً. وحسب هنري كيسنجر نفسه فإن أميركا سمحت بقيام حرب ١٩٧٣ لأنها كانت بعدها ستلعب دوراً أكبر في مفاوضات السلام والسيطرة على الشرق الأوسط» ❑

بوادر انفتاح علني بين أميركا وإيران

قالت إذاعة طهران في ٩٧/٠٦/٠١: إن تصريحات الرئيس الأميركي كلينتون في ٩٧/٠٥/٢٩ التي علّق فيها على نتائج الانتخابات الإيرانية تشير إلى تغيّر تدريجي في السياسة الأميركية تجاه إيران. وأضافت أن «كلينتون مدّ يده نحو إيران وضمّن تصريحاته إشارات إلى الصداقة والمصالحة» وكان كلينتون قال بعد انتخاب خاتمي: إنه لم يكن سعيداً أبداً بالجفاء بين الولايات المتحدة وإيران. وأضاف كلينتون: «إن الإيرانيين شعب عظيم للغاية، وآمل أن تنتهي حالة الجفاء. لكن هناك ثلاث عقبات كبيرة ينبغي إزالتها، ونحدونا الأمل في مستقبل أفضل». والعقبات التي ذكرها كلينتون هي: أن لا تجعل إيران الإرهاب سياسة لها، وأن لا تستعمل العنف لعرقلة السلام مع إسرائيل، وأن لا تطور أسلحة الدمار الشامل ❑

العلمانيون مرعوبون من عودة الخلافة

١. نشرت جريدة (Sori Havadis) التركية في ٩٧/٠٥/١٢ جانباً من تقرير الأركان العسكرية العامة بعنوان: (خطر الشريعة الإسلامية على النظام العلماني) جاء فيه:

«إن هدف الأصوليين هو تركيا، وشعارهم الأساس هو (لا توقد النار إلا في المحل الذي هدمت فيه، ولا تستأنف الخلافة إلا في المحل الذي هدمت فيه)».

٢. نشرت جريدة (صباح) التركية في بداية شهر نيسان ١٩٩٧ جانباً من تقرير المخابرات الوطنية (MIT) الذي قُدّم إلى مجلس الأمن القومي عن خطر الأصوليين الإسلاميين جاء فيه: إن الأصوليين يريدون الدولة الدينية التي تُشكّل كالتالي: الخليفة، المعاونون، أمير الجهاد، الولاة، القضاء، مصالح الدولة، مجلس الأمة».

٣. وكانت جريدة (صباح) نفسها نشرت في بداية شهر آذار ١٩٩٧ قسماً من تقرير المخابرات الوطنية (MIT) جاء فيه: «إن أخطر المنظمات الأصولية التخريبية المسلحة هي: حزب الله، الجهاد، وحزب التحرير» ❑

زال إحباط النصارى

قال سفير الفاتيكان في لبنان بابلو بوانتي في ٩٧/٠٦/٠٢: «لا أعتقد أن المسيحيين ما زالوا في حال إحباط، وأرى أن كل الناس مسرورون» وسئل: «من تعني بذلك»؟ أجاب: «الموارنة وجميع الذين تحدثت إليهم. فقد استُقبل البابا كما لم يُستقبل في أي بلد آخر زاره في العالم» ❑

إحتروا مصنوعات إسرائيل

عرضت شاشات التلفزيون في ٩٧/٠٥/٣٠ أنواعاً من العلكة «اللبان» كانت تباع في المناطق الفلسطينية منذ أشهر. هذه العلكة قسم منها لا يوجد عليه بلد المنشأ وقسم منها مكتوب عليه: «صنع إسبانيا». وبعد البحث تبين أنها كلها من صنع إسرائيل وليس من صنع إسبانيا. وبعد فحصها في مختبرات مصر تبين أنها تحتوي على هرمونات مؤذية يمنع استخدامها في صناعة الأغذية. وهي تسبب الشبق الجنسي والعقم. وقال الخبراء بأن المرجح أن تكون غالبية المواد الغذائية التي تصدرها إسرائيل إلى الفلسطينيين أو العرب تحتوي مواد أشد خطورة من العلكة.

وقد ضبطوا في غزة ثلاثة أطنان من كبد العجول الفاسدة مستوردة من إسرائيل تفرز سموماً تؤثر في الجهاز الهضمي.

وسبق أن أدخلت إسرائيل هذه الأنواع من العلكة إلى مصر. وسبق أن صدرت إلى مصر مبيدات للحشرات تسبب أمراضاً خطرة للبشر ❑

تنافر أميركي - تركي

دعت جهات وشخصيات أوروبية وتركية لعقد ندوة في أنقرة عن الأكراد. ولكن السلطة التركية منعتها. وقال الناطق باسم الخارجية الأميركية نيكولاس بيرنز (في ٩٧/٠٥/١٠): إن واشنطن دعمت بقوة عقد الندوة وكان ديبلوماسيون كبار في السفارة الأميركية في أنقرة ينوون المشاركة فيها. وأضاف «نعتقد أن من مصلحة تركيا على المدى البعيد مناقشة هذه المسألة بحرية وانفتاح في تركيا» ❑

صراعات اليابانيا

الرئيس الألباني صالح بريشا زعيم الحزب الديمقراطي لا يسير في ركاب أميركا، فاوجدت المشاكل في البانيا لإسقاطه ونقل السلطة إلى عملائها. وتحت ضغط الأعمال المسلحة اضطر بريشا إلى تكليف باشكيم فينو بتشكيل وترؤس الحكومة. باشكيم فينو هذا ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الذي تدعمه أميركا. وقد توجه رئيس الوزراء فينو في ٩٧/٠٥/١٠ إلى واشنطن لطلب مساعدات دولية طارئة لبلاده. وقد اتفق الحزبان على إجراء انتخابات برلمانية مبكرة في ٩٧/٠٦/٢٩ ❑

أميركا تنتقد إسرائيل

أفادت صحيفة «هارتز» (في ٩٧/٠٥/٢٠) أن دراسة أعدها الأميركيون أخيراً أظهرت أن ٢٦ في المئة من الوحدات السكنية الجاهزة في مستوطنات الضفة الغربية لا زالت شاغرة بينما بلغت النسبة في قطاع غزة ٥٦ في المئة وفي مستوطنات هضبة الجولان المحتلة ٢٨ في المئة. ونقلت الصحيفة عن مصادر أميركية رفيعة المستوى أن ما مجموعه ١١٠٠ وحدة سكنية فقط من أصل ٢٣٠٠ في قطاع غزة يسكنها مستوطنون بينما بلغ حجم الأشغال في الضفة الغربية ٣١٠٦١ مسكناً من أصل ٤١٠٠٠ مسكن بنيت حتى الآن في مستوطنات الضفة. ومن بين الأمثلة التي أوردها هؤلاء المسؤولون وجود حوالي ألفي مسكن خال في مستوطنة أريئيل وهي إحدى أكبر مستوطنات شمال الضفة الغربية وألف مسكن آخر خال في مستوطنة شيلو إلى الجنوب منها ❑

أميركا والصادق المهدي

بعد قيام الصادق المهدي زعيم حزب الأمة السوداني بزيارة لأميركا صرح مسؤول في إدارة الرئيس بيل كلينتون أن الصادق المهدي ينبغي ألا يعود إلى السلطة بوصفه الزعيم الجديد للسودان، وأنه لا يصلح لإدخال إصلاحات جذرية في السودان.

وقد ردّ أسامة نقد الله ممثل حزب الأمة في أميركا (في ٩٧/٠٥/٢٠) على كلام المسؤول الأميركي بقوله:

«إننا نأسف لهذا الكلام العدائي» وأضاف: «نعتقد أن مثل هذا النوع من التصريحات غير مفيد ولا داعي له، ولم يأت في وقت مناسب. نحن هنا لشرح موقفنا لشعب صديق وحكومة صديقة تدعم شعب السودان. لقد أبدينا دائماً موقف الولايات المتحدة في شأن السودانيين، ونعتقد أن المهدي لا يستحق مثل هذه الملاحظات» وأضاف: «إن زيارة المهدي إلى واشنطن تهدف إلى شرح موقف التجمع الوطني وحزب الأمة»، «ولم يطلب من الولايات المتحدة أو من أي حكومة أن تعينه حاكماً للسودان» ❑

صواريخ روسية لمصر؟

نشرت صحيفة «واشنطن تايمز» في ٩٧/٠٥/٣٠ أن مصر تسعى إلى شراء ٢٢٤ صاروخ أرض - جو روسي للدفاع الجوي طراز «سام أس ٣٠٠» ومائة منصة إطلاق متحركة وأنظمة رادار في صفقة حجمها ٧٠٠ مليون دولار والدخول في مشروع مشترك مع موسكو لتصنيع صواريخ محمولة يدوياً مضادة للطائرات. وذكرت الصحيفة أنها استقت بياناتها من تقارير للاستخبارات الأميركية وزعت في وزارة الدفاع هذا الشهر. «الوعي»: نحن نفهم أن هذا للضغط على إسرائيل ❑

خاتمي علماني؟

الرئيس الإيراني الجديد محمد خاتمي كان ألقى محاضرة في لبنان قبل حوالي خمسة أشهر. وخلالها وُجّه إليه سؤال: إذا أظهر استفتاء أن غالبية الشعب لا تريد تطبيق الشريعة

الإسلامية، فهل تأخذون برأي الشعب أو تفرضون الشريعة عليه فرضاً؟ وكان جوابه: إننا نأخذ برأي الشعب ❑

«الواشنطن بوست» تكشف

نشرت جريدة «النهار» البيروتية في ٩٧/٠٥/٢٢ تعليقاً مبنياً على ما كتبته صحيفة «الواشنطن بوست» جاء فيه:

إذا كان كلام جيم هوغلان في «الواشنطن بوست» عن العلاقات الأميركية ـ التركية صحيحاً ودقيقاً، يكون الإعلام في العالم ـ وخصوصاً إعلامنا ـ هو آخر من يعلم.

فهو يقول إن العلاقات بين عسكر أنقرة وواشنطن ليست على ما يرام، إن لم يكن متأزمة، وبالتالي فإن هؤلاء العسكر باتوا أقرب إلى تل أبيب منهم إلى العاصمة الأميركية.

وإن سبب الزعل، هو أن واشنطن لم تلب طلب العسكر الأتراك في التسلح، وأن إسرائيل تعهدت ذلك.

ومن نتائج هذا الزعل أن عسكر تركيا قد أعطوا واشنطن أذناً صماء، عندما طلبت منهم ـ تحديداً ـ ألا يتدخلوا في الشأن السياسي الداخلي لتركيا، وأن يتركوا شمال العراق وشأنه.

وكانت النتيجة أن توغل الجيش التركي في شمال العراق ـ ولا يزال ـ وتوغل أكثر في الحياة السياسية الداخلية.

إذاً ما كنا نعتقده حلفاً ثلاثياً تركياً ـ إسرائيلياً ـ أميركياً، هو في الحقيقة ثنائي، ومن دون مباركة أميركية ❑

صراع كلامي لا ينتهي

يفجر العلمانيون معاركهم الكلامية باستمرار في محاولة إشغال المسلمين عن قضاياهم المصيرية بقضايا جانبية ومن هذه المسائل قضية حسن حنفي التي شغلت الأزهر، فبعدما قامت جبهة علماء الأزهر بفتح النار على حسن حنفي، قام مفتي مصر بانتقاد جبهة علماء الأزهر. وفي هذا المجال قال الدكتور يحيى إسماعيل (الأمين العام للجبهة): «إن معركتنا مستمرة مع هؤلاء العلمانيين الملحدين الذين يطعنون في ذات الله ونبوة الرسول والبعث والخلود، وسنواصلها حتى آخر رمق من حياتنا ومهما دفعنا من تضحيات» وتقول الجبهة بأن الدكتور حسن حنفي «أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة» أما مفتي مصر فيرد بالقول: «إن موقف الجبهة يؤدي إلى تشويه صورة الإسلام وصورة علماء الجبهة أنفسهم، وإن حنفي لم يخرج عن العقيدة في ما كتبه وأرفض بيان الجبهة في هذا الشأن... ولم أر في ما كتبه كفراً صريحاً وواضحاً» ❑

تنديد بالتوغل التركي

نددت الجماعة الإسلامية المصرية بالتوغل التركي في شمال العراق وهاجمت أربكان معددة سلسلة التنازلات التي قام بها وقالت: «إن هذا الوضع الشاذ كان ينبغي ألا تقبله حكومة أربكان الذي ذهب مذهباً ما كان له ليذهبه فهو قبل بحكومة ائتلافية مع حزب متطرف موغل في العلمانية وأنقذ امرأة متهمة بالفساد، وسحب دعوى حزبه ضدها وتنازل عن كل الوزارات السيادية وتخلى عن برنامجه المطروح على قواعده الشعبية ووقع مرغماً اتفاقاً عسكرياً مع الكيان الصهيوني كان من أشد المعارضين له، وتنامت العلاقات في عهده وتحت بصره مع الكيان الصهيوني، وذهب وزير دفاعه لزيارة هذا الكيان قبل زيارة أي دولة إسلامية، وأرغمه الجيش على إغلاق المدارس الإسلامية وسحب اقتراح قانون يجيز ارتداء الحجاب» ❑

تعزيز العلاقات

دعا وزير الخارجية العراقي (محمد سعيد الصحاف) إلى تطوير العلاقات مع الأردن خلال استقباله لوفد من الصناعيين الأردنيين ❑

فرنسا الخاسر الأكبر

رأى خبراء فرنسيون أن فرنسا هي الخاسر الأكبر في معركة زائير وسقوط موبوتو حيث قال ريشار بانيغاس: «إن الأزمة الزائيرية تكشف تراجع دور فرنسا في إفريقيا وهو ناجم عن عجزها عن إدراك التغييرات التي تحصل في القارة».

وقال المستشار السابق لوزير الدفاع الفرنسي (جان كريستون روفان): «لو قامت فرنسا التي لديها اعتقاد راسخ بوجود مؤامرة أميركية ـ بريطانية مستمرة، لو قامت بالتقارب منذ البداية مع الولايات المتحدة لما كانت الآن الخاسر الأكبر». ونشرت الصحف نبأ اعتراف السودان رسمياً بالنظام الجديد في زائير وذلك بلسان وزارة الخارجية فكانت السودان بذلك من الدول السباقة إلى الاعتراف بنظام كابيلا ❑

اتفاق عراقي تركي

وقعت وكالة الأنباء العراقية اتفاقاً للتعاون مع وكالة «الإخلاص» التركية وقال العراق إن هذا الاتفاق يهدف إلى تعزيز التعاون في مجال المعلومات والصور وتسهيل مهمة مراسلي الوكالتين، تم هذا في الوقت الذي توغل فيه الجيش التركي في شمال العراق ❑

الاستخبارات الإسرائيلية تخشى من تحول مصر

نشرت صحيفة العدو الإسرائيلي «يديعوت أحرونوت» أن مصر يمكن أن تصبح من جديد من أعداء إسرائيل، وأن تعزيز قدرات الجيش المصري عبر الحصول على أسلحة أميركية يزيد من قلقها بنفسها ويمكن أن يشكل في بعض الظروف تهديداً لإسرائيل وقال رئيس الاستخبارات الإسرائيلية إن القادة المصريين مصابون بانفصام الشخصية وإن مصر تحتاج إلى طبيب نفسي ❑

الموساد يتجسس على جميع أجهزة الكمبيوتر العربية

(بقلم مهجة عثمان - روز اليوسف. القاهرة)

أثار الكاتب الألماني الشهير إيرش شميد أبنيوم قضية خطيرة، نرجو أن يكون لها صدى في الأوساط العلمية العربية، فقد أعلن أن هناك تعاوناً وثيقاً بين المخابرات الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية في مجال التجسس على مصر والدول العربية عن طريق أجهزة الكمبيوتر في تلك الدول.

وأوضح الكاتب الألماني في حديثه لعدة شبكات تليفزيونية أمريكية أن الموساد قام منذ عدة سنوات بصناعة مرسل بالغ الصغر يمكن تركيبه في جميع أجهزة الكمبيوتر، وذلك بزرعه في وحدة المعالجة المركزية أو ما يطلق عليه لوحة الرقائق، أو في إحدى الرقائق الموجودة في اللوحة، وهو ما يسهل نقل جميع المعلومات الموجودة في الكمبيوترات إلى كمبيوتر مركزي عبر الأقمار الصناعية. وأضاف الكاتب الألماني أن الموساد قامت بتسليم اختراعها إلى المخابرات الأمريكية التي قامت بدورها بزرع الجهاز الصغير في الكمبيوترات الأمريكية التي يتم تصديرها إلى مصر والبلاد العربية الأخرى، حتى يمكن الاطلاع على جميع محتويات الكمبيوترات.

وهذا وقد نفى المتحدث الإعلامي باسم «سي. أي. إيه» في تصريحه للصحف الأمريكية بتاريخ ١٩٩٧/١٢/١٣ أي علم بالأمر قائلاً: إننا لم نقرأ ولم نطلع على ما قاله الكاتب الألماني إيرش، ولا يُوجَد لدينا أي تعليق على ذلك.. كما علق موشيه فوجل، المدير العام لمكتب الصحافة الإسرائيلية الحكومي، بتاريخ ١٩٩٧/٢/١٤ قائلاً: نحن لا نتعاطى مع تصريحات أو تخمينات أو غير ذلك من المعطيات التي تدخل في هذا الباب.

من ناحيته أكد الكاتب الألماني على معلوماته، وتحدى من يكذبه قائلاً: إن تحت يديه كل الأدلة والبراهين التي تؤكد تلك المعلومات، وعقد مؤتمراً صحفياً في برلين بألمانيا بتاريخ ١٩٩٧/٢/١٥ ليؤكد على نفس المعلومات، وأعلن أنه مستعد لمواصلة الحوار وكشف المزيد من المعلومات حول هذه الفضيحة، ودعا الدول العربية للاتصال به لمدهم بالمعلومات التي ما زال يحتفظ بها □

مخابرات إسرائيل تتسلل لبريد «حماس» الإلكتروني

نشرت صحيفة «الوطن» (لوس أنجلوس) في ٩٧/٠٤/١١ أن المخابرات الإسرائيلية تمكنت من التسلل إلى البريد الإلكتروني الذي يستخدمه كبار قادة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الاتصالات والمراسلات التي تتم بينهم عن طريق شبكة «إنترنت».

وقال مراسل صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية في تل أبيب برتون غيلمان الذي نقل هذا النبأ: دلت مراقبة المخابرات الإسرائيلية للمراسلات في البريد الإلكتروني أن قادة حركة «حماس» خرجوا بانطباع من لقائهم مع الرئيس الفلسطيني في التاسع من آذار (مارس) الماضي في غزة بأنه لن يعارض في قيام الحركة باستئناف العمليات الانتحارية ضد إسرائيل على الرغم من أنه لم يقل ذلك صراحة □

يوسف بن تاشفين أحد زعماء المسلمين

بقلم: أحمد الخطيب - القدس

يعتبر يوسف بن تاشفين بحق واحداً من عظماء المسلمين الذين جدّدوا للأمة أمر دينها ولم يأخذ حقه من الاهتمام التاريخي إلا قليلاً. وشخصية يوسف بن تاشفين شخصية إسلامية متميزة استجمعت من خصائل الخير وجوامع الفضيلة ما ندر أن يوجد مثلها في شخص مثله. فيوسف بن تاشفين «أبو يعقوب» لا يقل عظمة عن يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين الأيوبي، وإذا كان الأخير قد ذاع صيته في المشرق الإسلامي وهو يقارع الصليبيين ويوحد المسلمين، فإن الأول قد انتشر أمره في المغرب الإسلامي وهو يقارع الإسبان والمارقين من الدين وملوك الطوائف ويوحد المسلمين في زمن كان المسلمون فيه أحوج ما يكونون إلى أمثاله.

نشأ يوسف بن تاشفين في جنوب بلاد المغرب (موريتانيا حالياً) نشأة إيمانية جهادية، وأصله من قبائل «سنهاجه اللثام» ويقال بأنه حميري عربي وفي روايات أخرى بربري.

كانت الظروف السياسية السائدة في زمنه غاية في التعقيد وغلب عليها تعدد الولاءات وانقسام العالم الإسلامي وسيطرة قوى متناقضة على شعوبه. ففي بغداد كانت الخلافة العباسية من الضعف بمكان بحيث لا تسيطر على معظم ولاياتها، وفي مصر ساد الحكم الفاطمي الفاسد، وفي بلاد الشام بدأت بواكير الحملات الصليبية بالنزول في سواحل الشام، وفي الأندلس استعرت الخصومة والخيانة وعم الفساد بين ملوك طوائفها، وأما في بلاد المغرب الإسلامي حيث نشأ وترعرع فكانت قبائل مارقة من الدين تسيطر على الشمال المغربي، وتحصن مواقعها في ا لمدن الساحلية كسبتة وطنجة ومليلة، وهي من آثار الدولة العبيدية الفاطمية التي تركت آثاراً عقيدية منحرفة تمثلت في جزء منها بإمارة تسمى الإمارة البرغواطية سيطرت على شمال المغرب وبنت أسطولاً قوياً لها وحصنت قواتها البحرية المطلة على مضيق جبل طارق.

وفي عام ٤٤٥هـ أسّس عبد الله بن ياسين حركة المرابطية (الرباط في سبيل الله)، وبعد عشر سنوات تسلم قيادة الحركة يوسف بن تاشفين، فبدأ بتعمير البلاد وحكمها بالعدل، وكان يختار رجالاً من أهل الفقه والقضاء لتطبيق الإسلام على الناس، واهتم ببناء المساجد باعتبارها مراكز دعوة وانطلاق وتوحيد للمسلمين تحت إمارته، ثم بدأ يتوسع شرقاً وجنوباً وشمالاً فكانت المواجهة بينه وبين الإمارة البرغواطية الضالة أمراً لا مفر منه.

إستعان ابن تاشفين في البداية بالمعتمد بن عباد - وهو أحد أمراء الأندلس الصالحين - لمحاربة البرغواطيين، فأمدّه المعتمد بقوة بحرية ساعدته في القضاء على الإمارة الضالة، وهكذا استطاع أن يوحد كل المغرب حتى مدينة الجزائر شرقاً، وحتى غانة جنوباً، وكان ذلك عام ٤٧٦هـ. وبعد أن قوي ساعده واستقرت دولته وتوسعت، لجأ إليه مسلمو الأندلس طالبين الغوث والنجدة، حيث كانت أحوال الأندلس تسوء يوماً بعد يوم، فملوك الطوائف لقبوا أنفسهم بالخلفاء، وخطبوا لأنفسهم على المنابر، وضربوا النقود بأسمائهم، وصار كل واحدٍ منهم يسعى للاستيلاء على ممتلكات صاحبه، لا يضره الاستعانة بالإسبان النصارى أعداء المسلمين لتحقيق أهدافه، واستنابوا الفساق، واستنجدوا بالنصارى وتنازلوا لهم عن مداخل البلاد ومخارجها. وأدرك النصارى حقيقة ضعفهم فطلبوا منهم المزيد.

ولقد استجاب ابن تاشفين لطلب المسلمين المستضعفين، وفي ذلك يقول الفقيه ابن العربي: «فلبّاهم أمير المسلمين ومنحه الله النصر، وألجم

الكفار السيف، واستولى على من قدر عليه من الرؤساء من البلاد والمعاقل، وبقيت طائفة من رؤساء الثغر الشرقي للأندلس تحالفوا مع النصارى، فدعاهم أمير المسلمين إلى الجهاد والدخول في بيعة الجمهور، فقالوا: لا جهاد إلا مع إمام من قريش ولستَ به، أو مع نائبه وما أنت ذلك، فقال: أنا خادم الإمام العباسي، فقالوا له: أظهر لنا تقديمه إليك، فقال: أو ليست الخطبة في جميع بلادي له؟ فقالوا: ذلك احتيال، ومردوا على النفاق».

وحتى يكون ابن تاشفين أميراً شرعياً أرسل إلى الخليفة العباسي يطلب منه توليته. ويقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء: «وفي سنة تسع وسبعين أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة ومراكش إلى المقتدي يطلب أن يسلطنه وأن يقلده ما بيده من البلاد فبعث إليه الخِلَعَ والأعلام والتقليدَ ولقّبه بأمير المسلمين، ففرح بذلك وسُر به فقهاء المغرب».

وبعد أن زاد ضغط النصارى الإسبان القادمين من الشمال استنجد بابن تاشفين المعتمد بن عباد، ونُقِلَ عنه في كتاب دراسات في الدولة العربية في المغرب والأندلس أنه قال: «رعي الجمال عندي خير من رعي الخنازير» وذلك كناية عن تفضيله للسيادة الإسلامية، ودخل المعتمد مع ابن تاشفين الأندلس شمالاً وقاد ابن تاشفين الجيوش الإسلامية وقاتل النصارى قتالاً شديداً وكانت موقعة الزلاّقة من أكبر المعارك التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً كبيراً على الإسبان، وهُزم ملكهم الفونسو السادس هزيمة منكرة.

وعلى أثر هذه الموقعة خَلَعَ ابنُ تاشفين جميعَ ملوك الطوائف من مناصبهم ووحّد الأندلس مع المغرب في ولاية واحدة لتصبح: أكبر ولاية إسلامية في دولة الخلافة.

يقول صاحب الحُلَل السَّوْشِيّة: (ولما ضخمت مملكة يوسف بن تاشفين واتسعت عمالته، اجتمعت إليه أشياع قبيلته، وأعيان دولته، وقالت له: أنت خليفة الله في أرضه، وحقك أكبر من أن تدعى بالأمير، بل ندعوك بأمير المؤمنين. فقال لهم: حاشا لله أن تتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به خلفاء بني العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة، ولأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة، وأنا راجلهم والقائم بدعوتهم، فقالوا له: لا بد من اسم تمتاز به، فأجاب إلى «أمير المسلمين وناصر الدين» وخطب لهم بذلك في المنابر وخوطب به من العُدْوَتَيْن - أي المغرب والأندلس -).

يقول السلامي الناصري في الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: «إنما احتاج أمير المسلمين إلى التقليد من الخليفة العباسي مع أنه كان بعيداً عنه، وأقوى شوكة منه، لتكون ولايته مستندة إلى الشرع... وإنما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدباً مع الخليفة حتى لا يشاركه في لقبه، لأن لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة، والخليفة من قريش».

ومن علامات التقوى والتمسك بأهداب الدين تمسك الأمراء والحكام بالنقد الشرعي، وفي ذلك يقول ابن الخطيب في كتابه الإحاطة: (كان درهمه فضة، وديناره تبراً محضاً، في إحدى صفحتيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وتحت ذلك «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين»، وفي الدائر ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، وفي الصفحة الأخرى «الإمام عبد الله أمير المؤمنين» وفي الدائرة «تاريخ ضربه وموضع سكه»). وعبد الله اصطلاحاً هو كنية يصلح لاسم كل خليفة عباسي. واتخذ يوسف السواد شعاراً للمرابطين، وهو نفس شعار الدولة العباسية، ورفع شعار السواد يدل على التمسك بالسنة والتمسك بالوحدة وعدم شق جماعة المسلمين، إضافة إلى أن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء.

لقد ذاع صيت ابن تاشفين بين العلماء والقضاة بشكل خاص وبين الناس بشكل عام

فتناقلوا أخباره وصفاته، وتواتر عنهم نقل صفات الجهاد والعدل والزهد والإخلاص والتمسك بالإسلام وبدولة المسلمين الشرعية، حتى أثنى عليه معظم العلماء والفقهاء.

جاء في الخطاب المطول الذي رفعه الفقيه المعروف بابن العربي واسمه عبد الله بن عمر: «... الأمير أبو يعقوب يوسف بن تاشفين المتحرك بالجهاد، المتجهز إلى المسلمين باستئصال فئة العناد، ولمة الفساد، قام بدعوة الإمامة العباسية والناس أشياع، وقد غلب عليهم قوم دعوا إلى أنفسهم ليسوا من الرهط الكريم ولا من شعبه الطاهر الصميم، فنبّه جميع من كان في أفق قيامه بالدعوة الإمامية العباسية، وقاتل من توقف عنها منذ أربعين عاماً إلى أن صار جميع من في جهة المغارب على سعتها وامتدادها له طاعة، واجتمعت بحمد الله على دعوته الموفقة الجماعة، فيخطب الآن للخلافة، بسط الله أنوارها، وأعلى منارها على أكثر من ألفي منبر وخمسمائة منبر، فبان طاعته ضاعفها الله من أول بلاد الله الإفرنج، استأصل الله شأفتهم، ودمّر جملتهم إلى آخر بلاد السوس مما يلي غانة، وهي بلاد معادن الذهب، والحافة بين الحدين المذكورين مسيرة خمسة أشهر، وله وقائع في جميع أصناف الشرك من الإفرنج وغيرهم، قد فللت غربهم، وقللت حزبهم، وألفت مجموعة حربهم، وهو مستمر على مجاهدتهم ومضايقتهم في كل أفق، وعلى كل الطرق، ولقد وصل إلى ديار المشرق في هذا العام قاضٍ من قضاة المغرب يعرف بابن القاسم، ذكر من حال هذا الأمير ما يؤكد ما ذكرته، ويزيد ما شرحته، وقد خصّه الله بفضائل، منها الدين المتين، والعدل المستبين، وطاعة الإمام، وابتداء جهاده بالمحاربة على إظهار دعوته، وجمع المسلمين على طاعته، والارتباط بحماية الثغور، وهو ممن يقسم بالسوية، ويعدل في الرعية، ووالله ما في طاعته مع سعتها دان منه، ولا نأى عنه من البلاد ما يجري فيه على أحد من المسلمين رسم مَكْسٍ، وسبل المسلمين آمنة، ونقوده من الذهب والفضة سليمة من الشرب، مطرزة باسم الخلافة ضاعف الله تعظيمها وجلالها. هذه حقيقة حاله والله يعلم أني ما أسهبت ولا لغوت بل لعلي أغفلت أو قصرت».

وجاء رد الخليفة بخط يده وبمداد ممسك: «... إن ذلك الولي الذي أضحى بحبل الإخلاص معتصماً، ولشرطه ملتزماً، وإلى أداء فروضه مسابقاً، وكل فعله فيما هو بصدده للتوفيق مساوقاً، لا ريبة في اعتقاده، ولا شك في تقلده من الولاء، طويل نجاده، إذا كان من غدا بالدين تمسكه، وفي الزيادة عنه مسلكه، حقيقاً بأن يستتب صلاح النظام على يده، ويستشف من يومه حسن العقبى في غده، وأفضل من نحاه، وعليه من الاجتهاد دار رحاه، جهاد من يليه من الكفار، وإتيان ما يقضي عليهم بالاجتياح والبوار، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ فهذا هو الواجب اعتماده، الذي يقوم به الشرع عماده».

وللغزالي قول فيه رد على طلب ابن العربي منه لفتوى يحقه نقتبس منه: «لقد سمعت من لسانه (ابن العربي) وهو الموثوق به، الذي يستغنى مع شهادته عن غيره، وعن طبقة من ثقاة المغرب الفقهاء وغيرهم من سيرة هذا الأمير أكثر الله في الأمراء أمثاله، ما أوجب الدعاء لأمثاله، فلقد أصاب الحق في إظهار الشعار الإمام المستظهري، وإذا نادى الملك المستولي بشعار الخلافة العباسية وجب على كل الرعايا والرؤساء الإذعان والانقياد، ولزمهم السمع والطاعة، وعليهم أن يعتقدوا أن طاعته هي طاعة الإمام، ومخالفته مخالفة الإمام، وكل من تمرد واستعصى وسل يده عن الطاعة فحكمه حكم الباغي، وقد قال الله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ والفيئة إلى أمر الله

(التتمة ص ٢٦)

هجر المسلم أخاه

التهاجر بين المسلمين حرام بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال». ويستثنى من هذا الأصل حالان تصير الهجرة فيهما واجبة:

الأولى: أن يأمر الإمام بهجران مسلم أو مسلمين معينين فيصير الهجران واجباً بدليل هجرة المسلمين للثلاثة الذين خُلِّفوا: كعب بن مالك وصاحبيه مدة خمسين ليلة بناءً على أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت عقوبة. وفعلها عمر رضي الله عنه مع أصبغ مدة سنة لأنه كان يسأل أسئلة تنطعية وتشكيكية.

الثانية: هجرة العصاة والفساق دونما أمر من الإمام بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم - قال يزيد وأحسبه قال - في أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم - ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس فقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطْراً»، هذه رواية أحمد وفي رواية أبي داود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم قال: لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم إلى قوله فاسقون. ثم قال: كلا والله لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر ولتأخذُنّ على يدي الظالم ولتأطُرُنّه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً» ورواه ابن أبي حاتم بلفظ «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه» وفي حديث هارون: «وشريبه»... الحديث. ففي هذا الحديث نحن منهيون عن المجالسة والمؤاكلة والمشاربة والمخالطة والشراكة، حتى لا يكون أمرنا ونهينا تعذيراً، فالأمر والنهي الحقيقيان يقتضيان التهاجر إذا لم يأتمر المأمور وينته المنهي. إلا أن الحديث أبقى باباً واحداً مفتوحاً هو الاستمرار بالأمر والنهي وجعله واجباً، فبعد أن نهى عن كل ما نهى عنه أمر بالاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم، وكان أمره جازماً: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم...، كلا والله لتأمرن...، والجزم آتٍ من استحقاق اللعنة. وهذا الاستمرار المأذون به محصور في الأمر والنهي وما يقتضيانه، ومن الأمر والنهي العمل لاستئناف الحياة الإسلامية، وما دون هذا أي الأمر والنهي وما يقتضيانه يبقى حراماً.

والتقيد بهذا الأمر شديد إذ العصاة والفساق كثير، والمصرون على ترك الفروض كالصلاة وأعمال حمل الدعوة والعمل لاستئناف الحياة الإسلامية والزكاة والصوم نسبتهم كبيرة، وأكثر منهم فاعلو الحرام كآكلي الربا والجواسيس وقاطعي الرحم، والموالين للحكام والكفار، والداعين لأفكار الكفر، ومحرفي أفكار الإسلام، والراشين والمرتشين، وأعوان الظلمة، والسراق، والزناة، وشراب الخمر، والغشاشين، والكذابين... والقائمة طويلة، فكل عاصٍ سواء بإصراره على ترك فرض أو فعل حرام تجب مقاطعته إلا ما كان من استمرار في الأمر والنهي وما يقتضيانه. أما متى يجوز لك ترك أمر هذا النوع ونهيه فذلك عندما يرد عليك بمعنى أن لا يقبل منك أمراً ولا نهياً، ويرفض السماع منك أو يصرح بأنه يكره سماعك فعندها يغلق هذا الباب أيضاً وتجب مقاطعته بالكلية، أما ما دام

يسمع ولا يصدك ولا يرد عليك قولك ويرفضه فيجب أن يبقى باب الأمر والنهي مفتوحاً، حتى ولو لم يتقيد بما تأمره به وتنهاه عنه. وطبعاً يبقى الهجران قائماً في غير الأمر والنهي وما يقتضيانه من مجالسة أو مخالطة أو سلام... الخ. وذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى أبعد من هذا فلم يكتف بمجرد الهجرة فقال فيما رواه عنه الطبراني في الكبير «إذا لقيت الفاجر فالقه بوجه مكفهر» قال في المجمع رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما شريك وهو حسن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح. (وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقاطعون ويهجرون لأقل مما نرى ونسمع فقد هجرت عائشة رضي الله عنها ابن الزبير هو ابن أختها عندما قال: والله لتنتهين عائشة أو لأهجرن عليها فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً. وكأنها اعتبرته عقوقاً منه أن كانت خالته. وأخرج عبد الرزاق في المصنف قال: أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبر قال: كنت عند عبد الله بن مغفل فخذف رجل من قومه فقال: لا تخذف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عنه وقال: إنك لا تصطاد بها صيداً، ولا تقتل بها عدواً، ولكنها تكسر السن وتفقأ العين، قال: فلم ينته الرجل، فقال: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عنها ولا تنتهي، لا أكلمك كلمة أبداً).

قد يقول قائل إن هجران العصاة على كثرتهم الكاثرة يقود إلى العزلة التي هي مزيج من الجبن واليأس. سلمنا أن العصاة كثرة كاثرة إلا أنهم ليسوا كل الناس فلا زال في الناس من يستمع ويقبل أن يؤمر وينهى بل ويسأل عن أمر دينه، وفي هؤلاء كفاية للامتناع عن العزلة، والاستمرار في الأمر والنهي وحمل الدعوة لها

عبد الرحمن العقبي

⇦ تتمة الصفحة ٢٤

الرجوع إلى السلطان العادل المتمسك بولاء الإمام الحق المنتسب إلى الخلافة العباسية، فكل متمرد على الحق فإنه مردود بالسيف إلى الحق، فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردة عن طاعته لا سيما وقد استنجدوا بالنصارى المشركين أوليائهم، وهم أعداء الله في مقابلة المسلمين الذين هم أولياء الله، فمن أعظم القربات قتالهم إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية، ومهما تركوا المخالفة وجب الكف عنهم، وإذا قاتلوا لم يجز أن يتبع مدبرهم، ولا أن (ينزف) على جريحهم.... وأما من يظفر به من أموالهم فمردود عليهم أو على ورثتهم، وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم في القتال مهدرة لا ضمان فيها... ويجب على حضرة الخليفة التقليد فإن الإمام الحق عاقلة أهل الإسلام، ولا يحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثائرة إلا ويسعى في إطفائها بكل ممكن. قال عمر رضي الله عنه: «لو تركت جرباء على ضفة الفرات لم تُطل بالهناء ـالقطرـ فأنا المسؤول عنها يوم القيامة». فقال عمر بن عبد العزيز: «خصماؤك يا أمير المؤمنين»، يعني أنك مسؤول عن كل واحد منهم إن ضيعت حق الله فيهم أو أقمته فلا رخصة في التوقف عن إطفاء الفتنة في قرية تحوي عشرة فكيف في أقاليم». انتهى كلام الغزالي.

استمر ابن تاشفين رحمه الله في قتال الكفار الإسبان حتى وصل الحدود الفرنسية، وبذلك أنقذ بلاد الأندلس من سقوط وشيك بيد الإسبان حتى وأخر سقوطها أربعمائة عام من بعده. توفي ابن تاشفين عام ٥٠٠هـ، وأكمل من بعده ابنه «علي» مسيرة الجهاد فاحتل جزر البليار وساعد أهل صقلية على طرد الغزاة الإفرنجة فكان ابنه حسنة من حسناته.

رحم الله ابن تاشفين رحمة واسعة وجعل من سيرته محل اهتمام الراغبين في إعزاز الإسلام وأهله والله سبحانه ناصر كل المستنصرين به وقاهر كل الجبابرة والمتكبرين لها

قاعدة «الأمور بمقاصدها»

بقلم: محمد الشامي

القواعد الشرعية أحكام شرعية مستنبطة من أدلتها التفصيلية، وليست هي أدلة بحد ذاتها، لأن الأدلة الشرعية هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والقواعد تستفاد منها أحكام شرعية جزئية فهي لا بد أن تكون آتية من مصادر التشريع المعتبرة. فلا تعتبر القاعدة إلا بمقدار صحة استنباطها ودقة صياغتها، مثل قاعدة «الوسيلة إلى الحرام محرمة» أو قاعدة «كل شيء معين يؤدي إلى الضرر المحقق فهو حرام»، فهذه قواعد كلية تتفرع عنها أحكام شرعية جزئية، مستنبطة من الأدلة الشرعية. ولفهم القاعدة ومناطها لا بد من البحث في الدليل أو الأدلة التي استند إليها في استنباط القاعدة، فقاعدة «الأصل في الأشياء الإباحة»، بدون الرجوع إلى أدلتها، يمكن أن يفهم منها أن الأصل في تصرفات الإنسان وأفعاله الإباحة وأن كل فعل لم يرد بالشرع فهو مباح. مع أن ذلك مخالف للشرع وليس من القاعدة لأن أدلة القاعدة، من مثل قول الباري جل وعلا: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ البقرة/٢٩ وقوله: ﴿سخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ لقمان/٢٠ تفيد أن مناط القاعدة هو الأشياء (الأعيان)، التي هي مقابل الأفعال، فالسموات والأرض وكل ما فيهما من بحار وأنهار ومعادن ونبات وحيوان وغيره قد خلقها الخالق لنا، فهي مباحة إلا ما حرمه منها الشارع الحكيم، ولذلك قيل «الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم».. والقواعد الشرعية عموماً تأتي بألفاظ عامة أو كلية يراد منها أن تكون صحيحة وشاملة وموجزة قدر الإمكان.

قاعدة «الأمور بمقاصدها» اتفقوا على أن دليلها حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشهور: «إنما الأعمال بالنيات» وهي تكاد تكون الحديث ذاته، لأنها مترادفات ألفاظه، فالأمور جمع أمر ويمكن أن تعني العمل، فقول الباري جل وعلا: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ عام في أقوال فرعون وأفعاله كلها، وقوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ أي في الفعل الذي تعزم عليه. والمقصد هو النية، قال في القاموس: (نوى الشيء ينويه نيّة وتخفف: قصدهُ). ومنذ أن عممت مجلة الأحكام العدلية هذه القاعدة بين الناس، أصبحت تستخدم في غير محلها، وبغير المعنى الذي يدل عليه الحديث، فكان لا بد من تحديد مناط هذه القاعدة ودراسة الحديث أولاً:

الحديث بكامله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» وسبب قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا الكلام ما نقله الحافظ السيوطي عن الزبير بن بكار أنه قال في أخبار المدينة: حدثني محمد بن الحسن عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وعك فيها أصحابه، وقدم رجل يتزوج امرأة كانت مهاجرة، فجلس رسول ﷺ على المنبر فقال: يا أيها الناس، إنما الأعمال بالنيات، ثلاثاً، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته في دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه.. ونقل الحافظ السيوطي أن قصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور في سننه بسند على شرط الشيخين عن ابن مسعود قال: من هاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك، وقال ابن مسعود: فكنا نسميه مهاجر أم قيس[1]. وقال الحافظ أبو العباس القرطبي في كتابه «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»: وظاهر حال هذا الرجل

بسبب هذه الإضافة التي غلبت على اسمه، أنه لم تكن له في الهجرة الشرعية رغبة ولا نية، فسلبها، ونسب إلى ما نواه وقصده.

فالحديث - وبالتالي القاعدة - موضوعه هو تحصيل الثواب من الله عز وجل عند التزام أوامره ونواهيه أو القيام بالعمل الصالح، فالهجرة كانت فرضاً، وقام المهاجرون بالفرض امتثالاً لأمر الله، فكان حسابهم على الله ووفقاً لنياتهم، ومهاجر أم قيس لم تكن نيته كذلك، فلم يحسب من المهاجرين، رغم قيامه بالعمل نفسه وهو الهجرة، حتى إنه نُسي اسمه لشدة ما نسب إلى مقصده. فالرجل الذي يتاجر متحرياً الابتعاد عن الغش لا يسجل عمله في صحيفة حسناته إلا أن يبتغي بتركه الغش رضا الله عز وجل، أما إن كان مقصده الدعاية لبضاعته وزيادة بيعه فله ما أراد وليس له من ثواب اجتناب الحرام شيء، ومن التزم الصدق لكي يقال عنه صادق فله ذلك، وليس له ثواب الصدق، بل ربما يعاقب على عدم إخلاص النية لله إن كان الفعل مما لا يبتغي به إلا وجه الله كما ورد في حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في صحيح مسلم «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء، وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت لكنك تعلمت ليقال هو عالم، وقرأت ليقال هو قارئ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» وقال ربنا في حديث قدسي أخرجه مسلم «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه، وأنا منه بريء» وقال نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[٢]..

وحديث «إنما الأعمال بالنيات» لا بد فيه من تقدير لحاجة الجار والمجرور إلى تعليق، وتقديره والله أعلم: إنما تتقبل الأعمال بالنية وإنما يسجل لامرئ ما نوى. وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: فتقدير هذا الحديث أن الأعمال تحسب بنية ولا تحسب إذا كانت بلا نية. ولهذا فالحديث لا يفيد إصدار الأحكام على الأفعال بالحل والحرمة وعلى العقود بالصحة والبطلان والفساد اعتماداً على النية، فلو نوى رجل الطلاق ولم يتلفظ به لا يقع، ولو تلفظ به ولم يقصد وقع «لأن الألفاظ في الشرع تنوب مناب المعاني الموضوعة لها»[٣] والأمثلة التي يُدخل بها بعض علماء المسلمين هذا الحديث في الحكم على الأفعال، لها أدلة تفصيلية خاصة بها ولم تستنبط من الحديث: فمن ذبح لأجل الأكل حلت ذبيحته فإن ذبحها لغير الله حرمت، لأنها مما أُهلّ لغير الله به. والقتل الخطأ جعل له الشارع حكماً غير القتل العمد، واللقطة أمر الشرع بتعريفها، فمن التقطها وعرّفها - ولو كان مقصده الاحتفاظ بها - لم يأثم، فإن لم يعرفها أو لم يسلمها لصاحبها أو أنكرها بعد تعريفها أثم. وفي الدروك: إن ترك المسلم أخاه فوق ثلاث لانشغال أو مثله لا يأثم، لأنه لا يسمى هجراً والنهي منصب على الهجر. قال ابن حجر العسقلاني في شرحه على الحديث «كما لو نوى رجل بشراء سيف أن يقتل به رجلاً مسلماً بغير حق، فإن العقد صحيح وإن كانت نيته فاسدة جزماً. فلم يستلزم تحريم القتل بطلان البيع»[٤].

ورغم أن الحديث عام ويفيد الحصر، إلا أنه عام في موضوع الحديث وليس عاماً في كل شيء، فلا يقال إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. يقول ابن تيمية رحمه الله عند كلامه عن أسباب النزول «.. وإنما غاية ما يقال أنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ»[5] وقال في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: «وهذا الحديث بحكم عمومه يتناول جميع أعمال الطاعات» والطاعة في التزام أوامر الله ونواهيه.

وتعميم هذا الحديث ليشمل كل فعل وكل قول وليس فقط التزام أوامر الله واجتناب نواهيه - بتقدير أن أحكام الأعمال حسب نياتها وأن يكون حساب كل عمل حسب نية فاعله، يجعل مقولة «الغاية تبرر الوسيلة» صحيحة، وتصبح السرقة حلالاً إن قصد بها صاحبها مساعدة الفقراء والمحتاجين، وتصبح البدعة المذمومة مُثابة لأن مقصدها التقرب إلى الله، ويصبح الزنا مباحاً إن قصد به استمالة أعداء المسلمين إلى صفنا، ويصبح افتراء الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جائزاً إن كان المقصد حث الناس على التمسك بدينهم، وأعني الأحاديث الموضوعة، التي أريد بها دعوة الناس إلى فضائل الأعمال، والواقع أنّ الأمة مجمعة على تخطئة من فعل ذلك استناداً إلى الحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» واعتبرت هذه الموضوعات من أعظم الموضوعات ضرراً. «والواضعون للحديث أصناف، وأعظمهم ضرراً قوم من المنسوبين للزهد، وضعوا الحديث احتساباً فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركوناً إليهم»[6] «فضلّوا وأضلّوا»[7]. وعليه، لا يكون تقدير الحديث «إنما أحكام الأعمال بالنيات»[8] ولا تقدير القاعدة «أحكام الأمور بمقاصدها»[8] ولا صحة للتفسير الذي أوردته مجلة الأحكام العدلية للقاعدة بقولها: يعني أن الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما هو مقصود من ذلك الأمر.

والأمثلة التي يأتون بها على القاعدة، غالباً ما يستخدمونها للتدليل على أن أحكام الأمور بمقاصدها، وهذا لا يجوز، إذ إنها ليست أدلة ولا يجوز أن تكون أدلّة، لأن الدليل يجب أن يكون شرعياً ومن أحد مصادر التشريع المعتبرة. ومن جهة ثانية، فهذه الأمثلة لا تخرج عن إحدى حالتين: إما أن تكون فعلاً اقترنت به قرائن أوضحت حكمه شرعاً، فهنا كان الاعتبار للقرائن لا للمقصد، كأن لم يعرّف الملتقط اللقطة. وإما أن تكون فعلاً استند في بيانه إلى قول الفاعل ويمينه، وهذه الاعتبار فيها - في الدنيا - إلى اليمين لا إلى النية والمقصد، ويحكم بموجب يمينه، وحسابه على الله، وإنما علينا الظاهر و «من حلف على يمين صبرٍ يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان»[9] فالنية أو المقصد من الأمور التي لا يطلع عليها من البشر إلا صاحبها وهو أعلم بنفسه ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة* ولو ألقى معاذيره﴾ وهو الذي يعلم حل فعله أو حرمته، فإن تترّس كافر بمسلم ورماه مسلمٌ فقتل المسلم، فإن كان مقصده قتل المسلم فقد غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً، وإن قصد قتل الكافر فلا، فهذا يحكم يوم القيامة بخلاف حكمه في الدنيا، وإن كان يعلم من نفسه ما إذا كان قد انتهك حراماً أو لا، إلا أن يعترف.

وقد يقال هنا إن الحديث - وبالتالي القاعدة - فيه اختلافات كثيرة. لكن الذي يراد بيانه هنا، أن الذي لم يختلف فيه اثنان من علماء المسلمين هو أن الفعل المحرم بالشرع لا يحل عند وجود المقصد الحسن. ألم تر إلى قوله عز وجل في سورة الكهف: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ فهذه الآية ليست خاصة

بالكفار، لأن الذنب هنا واقع على هذه الصفة التي اتصفوا بها، فهو يعم كل من اتصف بهذا الوصف. يقول الطبري في تفسيره بعد عرض ما فيها من الأقوال «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عنى بقوله: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مُرْضٍ، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر» ويقول الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب «والأصل أن يقال: هو الذي يأتي بالأعمال يظنها طاعات وهي في أنفسها معاص» وعند تفسير قوله جل وعلا: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ يقول الطبري: هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم على هدى واستقامة، بل كان على جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به، بل على كفر منهم به ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون وفيما ندب عباده إليه مجتهدون.. وعندما يصل إلى قول الباري جل وعلا: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ يقول: «وإنما عنى بذلك أنهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة فتثقل به موازينهم». وهذا ما فهمه من الآية الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقد روي أن ابن الكواء من الخوارج سأله عن الأخسرين أعمالاً، فقال له: أنت وأصحابك.. فالنية وحدها ليست مقياساً بل المقياس هو العمل الصالح وفق ما شرع الله عز وجل مع النية الخالصة، قال ربنا في ختام سورة الكهف: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ «ولهذا كان لزاماً أن تسير جميع الأعمال بأوامر الله ونواهيه بناءً على إدراك الإنسان صلته بالله»[10].

ومن المتفق عليه بين علماء المسلمين أن كل رأي أو قول أو قياس أو اجتهاد يخالف الشرع ويخالف نصاً قطعياً يرد ولا يعمل به. والمشاهد أن دعاة تجديد الدين في هذا العصر وحملة لواء «العصرنة» غالباً ما يستخدمون هذه القاعدة في استحلال الحرام من مثل المشاركة في الحكم بغير ما أنزل الله، ومثل مداهنة الحكام والنفاق وغيرها، رغم النصوص الشرعية القطعية في حرمة هذه الأفعال. وقد أشار الشاطبي رحمه الله إلى هذا في الجزء الثاني من كتابه الموافقات في الصفحة ٢٣٦ عندما تكلم عن العلاقة بين الفعل والمقصد فقال: «والقسم الرابع أن يكون الفعل أو الترك مخالفاً (أي للشارع) والقصد موافقاً، فهو أيضاً ضربان، أحدهما أن يكون مع العلم بالمخالفة والآخر أن يكون مع الجهل بذلك، فإن كان مع العلم بالمخالفة فهذا هو الابتداع، كإنشاء العبادات المستأنفة والزيادات على ما شرع، ولكن الغالب أن لا يتجرأ عليه إلا بنوع من تأويل، ومع ذلك فهو مذموم حسبما جاء في القرآن والسنة».. وبسبب اللبس الذي أحدثته وتحدثه هذه القاعدة بهذه الصيغة، فالأفضل أن يتم الاستغناء عنها أو تعديل صيغتها بحيث لا تخلق مثل هذا اللبس. والحمد لله رب العالمين □

الهوامش:

١ـ نقلاً عن كتاب «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف» للسيد إبراهيم بن محمد الشهير بابن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي.
٢ـ قال الترمذي حديث حسن.
٣ـ معجم الكليات لأبي البقاء الكفوي.
٤ـ فتح الباري.
٥ـ المقدمة في أصول التفسير.
٦ـ مقدمة ابن الصلاح.
٧ـ مقدمة تفسير القرطبي.
٨ـ هذا عدا عن ركاكة التقدير لغة لأن فيه حذف المبتدأ والخبر جميعاً.
٩ـ أخرجه أحمد والستة (نقلاً عن كتاب البيان والتعريف).
١٠ـ كتاب «نظام الإسلام» لمؤلفه الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله.

المسلمون والغرب

(٣)

مظاهر الغزو الفكري الغربي للمسلمين

بقلم: أحمد المحمود

القومية:

أراد الغرب أن يحل أفكاره محل الأفكار الإسلامية ليصرف المسلمين عن مبدئهم صرفاً كلياً، فكانت له أسلحته المختلفة، منها بث فكرة القومية لتفريق الأمة الإسلامية إلى قوميات شتى وأراد أن يعيدهم إلى أصولهم الأولى التي كانوا عليها قبل الإسلام حيث كانوا متفرقين، متنابذين، فعمل على هدم الدولة الإسلامية بإثارة النزعة القومية (العروبة عند العرب، والطورانية عند الأتراك، والقومية الكردية عند الأكراد، والفارسية عند الإيرانيين، والبربرية عند البربر...) مستفيداً من الأخطاء الكثيرة التي ارتكبها العثمانيون. وقد سخّر اليهود في تركيا، والنصارى في البلاد العربية، من رعايا الدولة الإسلامية، ثم أتبعهم ببعض المسلمين الذين ربّاهم على يديه في مدارسه التي أنشأها وجمعياتها التي بثها في مختلف المناطق. فقاموا جميعاً تحت شعار التحرر القومي وطالبوا بالتجزئة. وقد أوضح ذلك لورانس العرب الجاسوس البريطاني المشهور، الذي تزيّا بزي العرب، ودخل فيهم كالسوسة في الشجرة أو كالدودة في الثمرة، إذ قال في تقريره لقيادته: «إن أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية بدحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها. وإذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيقون في دوامة الفرقة السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متناثرة غير قابلة للتماسك». لقد كانت القومية وما زالت دعوة انفصالية تقسيمية تولّى كبرَها الغرب وتلقّفها أناس من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا.

وبالدعوة إلى القومية، حوّل الغرب ولاء المسلمين من الولاء لله ورسوله والذين آمنوا، إلى الولاء للأصل والعرق، وأعادهم إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام حيث كانوا متفرقين متنابذين، وهو يعلم تماماً أن طرح القومية فيه تمزيق للأمة سيتبعه أكثر من تمزيق لما تحمله عصبية القومية من صراعات داخلية وخارجية لا تنتهي إلا أن تزول القومية من جديد.

وهذه الدعوة كانت وما زالت سلاحاً في يد الغرب يمعن فيها بتقتيل الأمة وتمزيقها، والعمل على تسخير أصحابها لأهدافه وشراء ذممهم. وما نراه من تنازع الأكراد فيما بينهم ثم بينهم وبين تركيا كصراع قائم، وبينهم وبين الدول العربية الأخرى كصراع نائم بانتظار أن يحركه الغرب لمصلحته في الوقت المناسب. وما نراه من صراع الأنظمة العربية فيما بينها حتى وصل الأمر ببعضها أن تكون إسرائيل أحب إليها من بعض الأنظمة العربية الأخرى، وما نراه في الجزائر من محاولة اللعب بالبربر ضد المسلمين فإنما يدل على أن أصابع الغرب، التي لم تعد خفية، تلعب بالأمة لعبة القومية في لعبة صراع المصالح فيما بينها.

وإذا كانت القومية مطلباً يقف وراءه الغرب بهدف تمزيق الأمة وتضييع ولائها، فإن لها حداً آخر وهو أن القومية فارغة من كل مضمون فكري، مما يسهل عليه تعبئتها بالأفكار ذات الألوان المنسجمة مع ما يلبسه، وهذا ما يجعلها ترعى في أحضانه. لذلك حمل دعاة القومية ابتداءً العداء للإسلام باعتبار أن محتواه الفكري صار متأخراً عن ركب الحضارة ومواكبة العصر.. ورأى هؤلاء في الوقت نفسه أن العلاج كله في الأفكار الغربية. وللوصول إلى ذلك جعلوا ولاءهم للقومية فوق كل ولاء. أما اليوم، وبعد أن بدأ المسلمون يعودون إلى دينهم كعلاج لهم من علل الحضارة الغربية، فإن دعاة القومية لم يلقوا سلاح دعوتهم بل راحوا يدّعون أن القومية هي من الإسلام ولا تعارضه، ويستدلون على ذلك بآيات مثل: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون﴾ وأحاديث مثل: «إذا ذلّت العرب ذلّ الإسلام» [وهو حديث موضوع كما ذكر الألباني]. وهم بهذا التراجع لم يقضوا على واقع أن القومية تمزق الأمة الإسلامية الواحدة.

وبالنسبة للطرح الفكري عملوا على التقريب بين الإسلام والغرب بدل الذوبان فيه. وهؤلاء لا يرتاح المسلمون إلى ارتباطهم السياسي سواء للأنظمة أو للدول التابعة لها هذه الأنظمة.

وإذا نجحت الدول الأوروبية في ضرب الدولة الإسلامية هذه الضربة الفظيعة المدمرة عن طريق إثارة النعرة القومية ومن ثم النزعة الوطنية، فإن هذا السلاح ما زال بيدها لم تُلْقه ولم تتخلّ عنه، وهو يتسو بالإسلام مما يدعو إلى الحذر منه أكثر، خاصة وأننا نرى أن بعض الحركات الإسلامية أو العلماء المسلمين يتساهلون مع هذا الوجه الجديد للطرح القومي: وما المؤتمر القومي ـ الإسلامي الذي يعقد سنوياً، عنا ببعيد.

لذلك فإنه من الواجب علينا شرعاً أن نبقى على حذرنا وانتباهنا من كل ما يحاولون ذرّ رماده في عيوننا. إن الأمة تحتاج إلى لحمة الإسلام ونبذ فرقة القومية، وإلى نصاعة الإسلام ونظافته من نتن القومية ودعوى الجاهلية. وإننا، في هذا المقام، نتذكر قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله أذلنا الله».

إن القومية ما زالت سلاحاً بيد أعداء المسلمين، سواء وعى على ذلك حملتها أم لم يعوا. والمسلم الذي يعمل ابتغاء مرضاة الله لا يقبل التهاون والتساهل مع أية دعوة أخرى مهما ادعت القرب من الله، بل لا يقبل إلا دعوة الله الخالصة المخلصة. وإلا كيف سنحقق فينا الخلافة الراشدة الموعودة؟

وما يهمنا قوله، هنا، أن الغرب ما زال مهتماً كثيراً بما يحدث على الساحة الإسلامية. وإنه ليلقي بالحجارة في طريق الدعوة الحقة لكي تتعثر أو تتأخر. والله فوقهم وفوق كيدهم ومستفتت حجارتهم إن شاء الله. ومهما أخفوا سمهم في دسمنا فسيكشفه الله تعالى ويزهقه.

محاربة اللغة العربية:

إن اللغة هي وسيلة التعبير عن الفكر، وهي ترجمان العقل. وإذا كان الإسلام هو الدين الإنساني الخالد، فإن الله سبحانه وتعالى اختار أن تكون اللغة العربية هي المركبة التي تحمل الإسلام للناس جميعاً. واللغة العربية هي أقوى اللغات على الإطلاق، ففيها القدرة على استيعاب الأفكار والمعاني، وعندها القدرة على التعبير عن الدلالات الدقيقة والصحيحة. وتملك القدرة على التوسع بحيث يمكنها مواكبة أي تطور فكري أو علمي، ومواكبة الألفاظ الجديدة. وما تملكه من ألفاظ يزيد على ما تحويه اللغتان الفرنسية والإنكليزية مجتمعتين، وما تملكه من قدرة على التعابير المجازية يفوق ذلك بكثير.

والثروة الفكرية والعلمية والتاريخية والدينية المؤدّاة باللغة العربية تحويها ملايين المجلدات الضخمة وعلى رأسها كتاب الله المنزّل ثم كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أوتي جوامع الكلم.

ولما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن فقد أصبحت جزءاً جوهرياً من الإسلام بحيث لا يؤدى كاملاً إلا بها. والاهتمام بالقرآن الكريم أوجب الاهتمام بها، لذلك صارت إلى جانب القرآن من مظاهر وحدة المسلمين. ولما كانت للغة العربية هذه الأهمية وهذا الدور جعلها الغرب هدفاً لسهامه وأراد صرف الأمة عنها وتقليص ظلها، فعمل على محاربة الفصحى، بمختلف الوسائل لإبعاد المسلمين عن الإسلام مصدر وحدتهم. ومن هذه الوسائل فرْضُ لغته أو لغاته واعتبارُها اللغة الأولى في البلاد التي احتلها، وإهمال العربية بدعوى أنها لغة وطنية لا تحتاج إلى تعليم، وكذلك جعل لغته هي اللغة الرسمية بحيث لا تؤدى المعاملات إلا بها. وحصر الوظائف بمتقنيها، وصوّر اللغة العربية أنها لغة لا تستطيع أن تواكب التطور العلمي والاقتصادي والفكري، ولا تستطيع أن تلبي حاجات الناس، ودعا إلى نشر اللهجات العامية لأنها أقدر على التعامل بها من الفصحى، ودعوا بعض الكتاب العرب إلى الكتابة بالعامية لتصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس ولتعمّ الاستفادة، وكتب بعض المستشرقين بالعامية تشجيعاً للمسلمين على حذو حذوهم واللحاق بهم. ومعلوم ما في هذه الدعوة من عزل وفصل للمسلمين عن مصادر ثروتهم الفكرية والفقهية، وهذا مراد خطر.

(التتمة ص ٣٤)

دمج الجاليات الإسلامية

ومحاولة تذويبها في المجتمعات الغربية

بقلم: فراس حمدوني ـ إيطاليا

﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ الحشر ١٣.

.. لا يزال وجود الإسلام، أي المسلمين في إيطاليا هشا مقارنة ببلدان أخرى كألمانيا وبريطانيا وهولندا، ذلك أن هجرة المسلمين إلى إيطاليا جاءت متأخرة أي في بدايات العقد الماضي، وإن كانت أعدادهم كبيرة ومنهم الكثير ممن يلتزمون بالدين، يبقى أن الصفة الظاهرة عليهم ـ ومعظمهم من شمال إفريقيا ـ أنهم غير متعلمين أو لم يتموا تعليمهم في بلدانهم، أما هنا فقد جاءوا للعمل والعمل فقط. هذه الأعداد الهائلة والملتزمون منهم لا يحملون الدين كما ينبغي أن يحمله المسلم بقوته المتأصلة في العقيدة والتمسك بالأحكام الذي من شأنه أن يلفت أنظار الكفار أهل البلد، بل حملهم له أضعف من ذلك بكثير.. إلا أن أجهزة المخابرات والشرطة السرية متحسسة من وجود المسلمين بهذه الأعداد الهائلة، ذلك أن هذه الأجهزة تعمل ليلاً نهاراً وبتنسيق مع الأجهزة الأمنية في أوروبا كلها. من ذلك ما يحصل باستمرار من مداهمات بيوت شباب مسلمين في كافة الدواب الإيطالي حتى في الجنوب الذي تسوده الفوضى ومخالفة القوانين من أهل الجنوب أنفسهم. فقد داهمت الشرطة السرية بيوتاً لأشخاص مسلمين عاديين وفتشوا بيوتهم وصادروا ما كان بحوزتهم ووصل إلى حد أن صادروا إذن الإقامة لشاب جزائري وأخذوا أمواله التي كانت في بيته والأمانات التي كانت عنده لبعض أصدقائه ولم يستردها إلا عن طريق القضاء والمحامين، ويستمر التضييق على كل من يعدونه هم من النشطين في المراكز الإسلامية الثقافية ـ طبعاً لا يوجد في إيطاليا إلا مسجدان اثنان فقط بصفة جامع الأول في روما والثاني في مدينة ميلان وما تبقى كلها مراكز لثقافية إسلامية ـ وحين تقوم تلك الأجهزة بإيقاف أي مسلم في الشوارع العامة وأمام الناس، يسألونه عما إذا كان يعرف المسجد ـ طبعاً المركز الإسلامي ـ وهل يعرف فيه أشخاصاً، وهل هو يصلي أم لا، وهل يذهب يوم الجمعة إلى العمل أم إلى أداء صلاة الجمعة، وهل هو راض على وجوده في إيطاليا... ونحو ذلك. وأجهزة الأمن جادة بشكل محسوس في تتبع حركات المسلمين والنشطاء منهم ـ حسب تقديرها هي ـ

في إيطاليا لم يكن مقبولاً أن ترفق المرأة المسلمة أي طلب ـ مثل الهوية أو إذن الإقامة أو رخصة السوق ـ بصورة شخصية لها وهي تضع الخمار على رأسها، إلى قبل سنتين حيث وافق البرلمان وأجاز قبول تلك الصور قياساً على جواز قبول صور الراهبات ـ الأخوات SUORE ـ وهن يضعن المناديل على رؤوسهن، دون ـ ولا يمكن أن يكون ـ النظر إلى موضوع الأديان أو حق المسلمين ونحو ذلك. وظاهر تحسس الدوائر المسئولة من تزايد الجالية المسلمة ووجود عائلات مسلمة، وأظهرت ذلك وسائل الإعلام، رغم أن البابا كان قد وجه رسالة تطمين إلى الشعب وأنه لا خوف من وجود عائلات مسلمة في المجتمع الإيطالي ـ والغربي ـ ما دام أطفال المسلمين سيدرسون في المدارس الإيطالية!!! فرغم ذلك ورغم قلة وجود من يحمل الإسلام بقوة ـ عقائدية أو فقهية ـ فكرية أو نفسية ـ تحاول أجهزة الإعلام على غرار الإعلام الغربي في فرنسا أو بلجيكا أو غيرهما، أن يشوشوا على شعوبهم التي باتت تحس بوجود المسلمين والمسلمين الصادقين، ومنذ أسابيع فقط ـ الثلاثاء ٩٧/٤/٢٩ نظم التلفزيون الذي تمتلكه الدولة عبر قناته الأولى ـ RAIUNO ـ لقاء في مدينة فيشانا VICENZA في شمال إيطاليا، حضره قادة اتحاد الهيئات والجاليات الإسلامية في إيطاليا ـ وهم عرب مسلمون ـ حاول المذيع الذي أدار اللقاء على مدار ساعتين كاملتين ـ مع وجود جمع غفير من المسلمين وعائلاتهم ـ حاول متبعاً أخبث الطرق أن يُظهر صورة المسلمين ـ والإسلام طبعاً ـ متناقضة وبائسة، ففي الوقت الذي يحاول فيه أي مسلم من الحضور أن يتحدث عن الإسلام كدين ونظام حياة كامل متكامل يقاطعه المذيع بعرض صورة امرأة عارية أمام المسلمين الحضور أو بإجراء اتصال مباشر عن طريق الأقمار الصناعية بعدد من المسلمين في فرنسا، ممن أظهر قبوله بالحضارة الغربية وانساق في تيارها، وركز على اتصال مباشر مع صحفية جزائرية علمانية ـ خالدة مسعود ـ حيث أبدت امتعاضها ورفضها لغير الديموقراطية، ثم عرض صوراً لبعض عمليات التفجير والقتل وذبح الأطفال في الجزائر، مقاطعاً بذلك كله وغيره الحديث عن الإسلام، وهنا

يبدو واضحاً التنسيق الدقيق مع أجهزة الأمن وهم يحاولون تشويه صورة الإسلام أمام الجمهور الإيطالي الذي تابع اللقاء وشاهده، فيزداد خوفهم من الإسلام فيرفضونه ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ الصف ٨.

واليوم تقوم جمعية القديس إيجيديو النصرانية النشطة جداً - حتى على مستوى مساعدة المسلمين مادياً وتعليمهم اللغة الإيطالية مجاناً - تقوم بالاتصال بالمراكز الإسلامية طالبة أن يكون هناك حوار معها وتعاون في موضوع الفاكس المرفق مع الخطاب. وإنما قلنا إن وراء ذلك أجهزة الأمن أن الكثير من الجمعيات والهيئات النصرانية دائمة الاتصال بالمراكز الإسلامية تريد تعاوناً وحواراً خاصة في المجال الثقافي. والدعوة التي توجهها اليوم هذه الجمعية النصرانية النشطة لمسئولي المراكز الإسلامية وسيحضرها دكاترة من الأزهر والمغرب والجزائر، جادة في محاولة تشويه صورة الإسلام أمام المجتمع الغربي وتهدف إلى محاولة قبول المسلمين بمبدأ الحوار بين الأديان وصرفهم عن التمسك بالدين الحق ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره، وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ الإسراء ٧٣. وهذه وغيرها أكثر وأخطر لتذويب الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية ولصرف أنظار شعوبهم أن تقبل على دين الله القيم الذي سيظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فإلى التمسك بالإسلام وأحكامه والعمل على إيجاده دولة تطبق أحكامه وتحمله جلياً واضحاً إلى المجتمعات المُضلّلة فتخرجها من الظلمات إلى نور الإسلام وعدله، ندعوكم أيها المسلمون □

⇦ تتمة الصفحة ٣٢

فهذا المستشرق الألماني «وهلم سبيتا» يقول: «إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية - لغة القرآن - كما هي في الوقت الحاضر». وتمادى المستشرق الألماني «كارل فولرس» أكثر عندما دعا العرب لاستعمال الحرف اللاتيني لدى الكتابة بالعامية. أما المستشرق الإنكليزي: «سلدن ولمور» فقد حاول تعقيد اللغة العامية. والاستشهادات بأقوال المستشرقين كثيرة، والإكثار منها قد يخرجنا عن خطة البحث. وآزر هذه الدعوة كتاب منخدعون وآخرون مأجورون مستغربون من أبناء اللغة العربية كلطفي السيد. وقدّم عبد العزيز فهمي مشروع كتابة العربية بالحروف اللاتينية وكذلك دعا طه حسين إلى شيء أسماه تطوير اللغة.

وهذا المكر الغربي ضد اللغة العربية ما زال سارياً حتى اليوم بحيث لا يصل إلى المراكز الحساسة، ويتسلم الوظائف العالية التي تتوقف عليها مصالح الناس إلا من أتقن اللغة الأجنبية.

إن الغرب بسياسته المقصودة تجاه اللغة العربية استطاع أن يجعلها تبدو عاجزة أمام تطور وسائل الحياة وأقعدها عن مواكبة التطور العلمي والتقني، وأفرغها من طاقتها الحيوية حين جعل المناهج التعليمية للغة العربية منفصلة عن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وصار يُدرسها بشكل جافّ، ولا يشعر المتعلم حين يتعلمها بأي قرب من الله بل يشعر بصعوبتها فينفر منها.

وهو الآن يحاول عن طريق ما يعرف بالألسنية الحديثة أن يقعد اللغة العربية من جديد وفي تخطيطه بأن هذه الإطلالة الجديدة على اللغة ربما تصلح أن تكون بديلاً يلغي ما سبق من دراسات لغوية عند أسلافنا السابقين.

إن اللغة العربية يجب أن توظف في خدمة أهداف الدين لذلك يجب أن لا تدرس كغاية بحد ذاتها كما يحدث الآن، فإن في ذلك تفريغاً لها من مفاعيلها. فاللغة العربية يجب أن لا تنفصل النظرة إليها عن اعتبارها لغة القرآن والحديث، فإن من شأن ذلك أن يجعلها حيّة مؤثرة في النفوس وتصبح عندها من العلوم الشرعية.

إن كيد الغرب للغة العربية الذي ما زال قائماً، ليدلل على إدراك الغرب لخطورتها، وإن كل ما من شأنه أن يقيم الإسلام على دعائم صحيحة وثابتة نرى الغرب قد وضع يده الأثيمة فيه فأفسده واتخذ له الأسباب التي تمنعه والأساليب التي تضيعه.

وإن كذبة الاستقلال الثقافي والفكري والاقتصادي... عن الغرب، كذبة كبيرة لم يصدقها إلا من غشّى الله على بصره وختم على سمعه وران الضلالُ على قلبه. [يتبع]

عقدة الخليج بعد عقدة فيتنام

بعد التكتم الشديد الذي فرضته أميركا وبريطانيا على المرض الذي أصاب الجنود الذين شاركوا في حرب الخليج، بدأت تظهر شيئاً فشيئاً أخبار ذلك المرض الذي يبدو أنه ناتج عن نوع من السلاح يشبه السلاح الكيماوي أو من مشتقاته وقد نشرت صحيفة الحياة في عددها الصادر في ٩٧/٦/٤ مقتطفات من كتاب صدر حديثاً للدكتورة إلين شولتز وهي أميركية وعنوان كتابها «الهستيريا» وقد صدر الكتاب في لندن. والمؤلفة تعمل أستاذة في جامعة برنستن في أميركا وهي متخصصة في تاريخ الطب.

نشرت الدكتورة شولتز كلاماً عن زوجات المجندين وصعوبة عيشهن مع هؤلاء المرضى، ثم نشرت معلومات مفادها أن بعض المجندين أنجبوا أطفالاً مشوهين، وآخرين اشتكوا من انكماش أجسادهم وتقلص حجمهم. وأطلقت على هذه الظاهرة وصف «هستيريا جماعية تنتشر كالوباء في المجتمعات الغربية».

وأثار هذا الكتاب انتقادات حادة في بريطانيا وأميركا في الوقت الذي يخوض كثير من المجندين السابقين معارك قضائية للحصول على تعويضات عن الأمراض التي أصابتهم نتيجة للحرب.

وجاء في الكتاب ما يلي: «كانت تلك الحرب وسخة واجهت خلالها القواتُ العسكرية بيئةً ملوثة ومذاخير كيماويةً وغازية وأسلحةً غير مجربة وعدواً خطراً وحشياً منعدم الضمير، وعندما انتهت الحرب عاد ٨٠ ألف جندي أميركي يعانون من أعراض مرضية غامضة عدة، تراوح ما بين الإحساس بالتعب، والنَفَس القصير، وخفقان القلب، والصداع، والغثيان، ووجع المفاصل والمعدة، والأرق، والطفح الجلدي، وحتى آلام الأطراف، والشلل. وفضلاً عن ذلك استفحل معظم هذه الأعراض حتى بعد انتهاء الحرب».

ويقول جندي بريطاني إن سبب مرضه الحقن المضادة للأسلحة الكيماوية التي أعطيت له قبل الحرب.

وأجريت دراسات واستقصاءات طبية على مرضى «علة حرب الخليج» زاد عددها على المائة دراسة، وكان أوسعها الدراسة التي قامت بها الأكاديمية القومية للعلوم في أميركا وكلفت ٨٠ مليون دولار، وخضع خلالها ١٩ ألف مجند لفحوص طبية. وأعلنت الأكاديمية أنها لم تعثر على «أي سبب أو مرض غامض يدعم الشكوك حول وجود علة حرب الخليج» وبذلك فهم لم يستطيعوا تفسير هذه الظاهرة – العقدة، أو أنهم يتقصدون إخفاء الأسباب لأمر ما ❑

﴿أليس منكم رجل رشيد﴾

- لم يجد حكام تركيا غير يهود إسرائيل يسلّمون لهم سلاحهم من طائرات ودبابات لتحديثها وتطويرها.
- لقد تم الاتفاق بين قادة الجيش التركي وإسرائيل على أن تقوم إسرائيل ليس بتحديث ٥٤ طائرة (ف٤) فقط بل بتحديث جميع الطائرات الحربية والدبابات. ومن ذلك تزويدها بأجهزة كمبيوتر وصواريخ ومدفعية من صنع إسرائيل وذخائر من صنع إسرائيل.
- إن ما يقوم به جنرالات الجيش التركي هو تسليم تركيا رهينة إلى إسرائيل.
- إسرائيل تعرف أن الموالاة والمودة التي تجدها من جنرالات تركيا لن تستمر، فدوام الحال من المحال. ولذلك فإن كل آلية أو قطعة سلاح تركية تقع تحت يد إسرائيل ستصبح مفخخةً تنفجر بأصحابها في الوقت الذي تختاره إسرائيل.
- إسرائيل ستزرع أجهزة تَنَصُّت للتجسس في كل قطعة. إنها ستركّب أجهزة كمبيوتر تستطيع أن تتحكم بها هي عن بعد. إنها ستزرع أجهزة تفجير تستطيع بواسطتها أن تفجّر أية آلية إلكترونياً عن بُعْد متى شاءت. وبذلك يتحول سلاح تركيا إلى سلاح بيد إسرائيل مُصْلَتٍ على أعناق الجيش التركي والشعب التركي.
- إسرائيل دخلت على أجهزة الكمبيوتر في مصر وغيرها (أنظر ص ٢١ داخل المجلة) وإسرائيل تصدّر السموم والأمراض للمسلمين الذين يتعاملون معها.
- جنرالات تركيا عملوا الآن حلفاً مع إسرائيل ويطلبون منها المشورة الأمنية والعسكرية. إسرائيل تسارع في تلبية الجنرالات، ولكن بالتأكيد لمصلحة إسرائيل، ولو كان في ذلك توريط تركيا ليزيدوا من التحكم بها.
- ألا يوجد بين رجالات تركيا وضباطها من يتقدم لإنقاذها من هذه الطامّة؟ □